محمود شلبي

حياة نوح

دار الجيل

الأهــداء

اللهم ... منك ... وإليـك

محمود شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ...

وسلام على عباده الذين اصطفى ...

وبعد ...

لسان حال الذين يكتبون عن الأنبياء :

« لا مِساس » ...

وأنى لبشر أن يمسّ مقام الأنبياء ؟!

« أولئكَ الذين أنعمَ اللهُ عليهم منَ النبيّين » ...

إنهم قمم القمم .. فانى لنا مساس مقاماتهم العُلى ؟!

ولكن لا مناص من التحويم حول اشعاعات ... أنوارهم ... عسى أن يمسسنا شيء من ُقدس أخوالهم !!

ومنذ أن َمنَّ الله عليَّ .. وشرفني بالكتابة عن الأنبياء ... أدركت بالتجربة ... أن الكتابة عنهم ... عطاء ... وبلاء !!

عطاء .. لأن أعظم العطايا ... أن ُيؤذن لك بمخالطة الأنبيـاء ..

فتتعلم منهم ... ما لم تكن تعلم ... ومـــا لم تتعلمه ممن سواهم ...

وبلاء ... وأي بلاء !

لأن الكتابة عنهم ... تحتم مستوى من التطهر الحارق ...

تطهر يحرق منك بقايا نفسك ... فتجد نفسك ... ولم تك شيئـــاً !

وَمن أنت ... مهما ُكنت ... بالقياس إلى نبيٍّ منَ الأنبياء ؟

والكتابة عنهم ... اشد البلاء كذلك ... لأنك إذا سبحت في بحارهم ... وشربت من كؤوسهم ... عـــافت نفسك أن تذوق شراباً ... أدنى من شرابهم ... مهما كان ذلك الشراب !

كمن رأى شيئاً غاية في الجمال .. فإنه يتألم إذا رأى شيئاً أقل منه جمالاً !

وهؤلاء الأنبياء .. هم أعلى مراتب الجمال من الناس ..

جمالهم يحجبك .. عن رؤية أي جمال .. فيمن هم دونهم جمالاً !

وهذا الاحساس .. اتعبني تعباً شديداً أليماً ..

أذكر انني حين كنت اكتب « حياة ابراهيم » .. أن الحقيقة الابراهيمية .. انفجرت أمامي .. شعشعانية ..

فاورثني علوماً في التوحيد ..

ما كنت أدري عنها شيئاً !

وأشهد ان ذلك الكتاب رقّاني رقياً عظيماً ..

ففهمت : مَن إبراهيم ؟

وما هي الحنيفية .. التي البست على الاكثرين !

ولماذا

« واتخذوا من مقام ابراهيمَ مُصلى » ؟!

وما هي أسرار

« فلما اسلما » ؟!

وكثير .. كثير .. كثير .. من عجائب

« واتخذَ اللهُ ابراهيمَ خليلا » !!

فخررت لله .. بكُلي .. وجُزئي .. شاكراً ..

ان مَنّ عليَّ تلكم المنَّة العليا !!

ولكنني بعدها .. لم اعد اطيق ان اذوق شراباً .. دون شراب إبراهيم !

وهذا بلاء شديد . وإنْ كان عطاءً عظيماً !!

وهذا النبيّ ..

موضوع هذا الكتاب ..

نوح .. عليه السلام ..

اني اتوجس ان اكتب عنه .. خيفة .. مما يترتب على ذلك من تالمي .. كلما ذقت شراباً .. دون شرابه !!

نوح ؟!!

صاحب مقام

« اني مغلوبٌ » !!

وصاحب مقام

« إنه كان عبداً شكوراً » !!

وصاحب مقام

« ربّ لا تذر » !!

وصاحب مقـام

« يا أرضُ ابلعي .. ويا سماءُ أقلعي » !!

وصاحب مقام

« فلبث فيهم ألفَ سنة » !!

نُوح ؟!

مَن يكون ؟

وكيف كان ؟

هيهات.. هيهات ؟

١٤٠٣ هـ
١٩٨٢ م

محمود شلبي

انا ..

كل شيء ..

خلقناه بقدر ؟

من سورة « القمر » ..

يطالعك ذلك الناموس الجميع البديع ..

« إنا كل شيء خلقناه بقدر . »

كلّ شيء ؟

كان أو يكون .. اوجدناه .. ابرزناه .. بتحطيط .. دقيق .. مُحكم .. بموازين ادق من الذَرّ !

فلا يقع شيء .. الا بقَدَر .. والا بميزان .. والا في مكانه ، والا في زمانه ، والا في اوانه !

فالنبوة .. شيء .. بقدَر ..

والانبياء .. بمقـادير ..

ونوح .. عليه السلام .. كان بقدَر .. ويكون بقدَر !

« فالتقى الماء على امر قد قُدرَ . »

فاحذر ان يوهمنك شيطانك .. ان امراً ما كان صُدفة ..

ذلك وهم الاغبياء ..

« كل شيء .. بقدر » !

فما هو قدَر .. نوح .. عليه السلام ؟

او قصته .. بلغة هذه الايام ؟

الانبياء .. موجات ..

موجات رحمة ..

يرسلها الله .. بقدَر .. ليرحم بهم عباده ..

وكما تشرق الشمس في ميعاد معلوم ..

يشرق الانبياء .. في ميعـاد معلوم ..

« وسراجاً منيراً » !

وفي الكتاب العزيز .. سورة اسمها « سورة نوح ».. اشارة الى ان نوحاً عليه السلام .. موجـة ..

موجة رحمة .. ارسلها الله .. في موعدها المقدّر عنده ..

« إنا أرسلنـــا »

هذه الموجة .. في الناس .. في موعدها ..

« نوحـــا »

العظيم .. الكريم، الصابر ، الشاكر ، الشكور ..

« إلى قومـــه »

الى شعبه ، الذي عمّه الظلام ..

« أن انذر » حذر « قومك من قِبل ان يأتيهم عذاب اليم » »

فماذا كان من نوح عليـه السلام ؟

يا نوح ..

قد جادلتنا ..

فأكثرت جدالنا!.

على امتداد ..

« الف سنة إلا خمسين عاماً » ..

اشتعلت المعركة بين الموجتين المتضادتين ..

موجة النور .. وعلى رأسها نوح .. عليه السلام ..

وموجة الظلام .. وتعم الناس جميعاً ..

ووقف العظيم وحده... على امتداد ٩٥٠ سنة ..

يحاور ، ويجادل ، ويبين ، ويرغّب ، ويرهّب ..

سرّاً .. وعلانية ..

جهراً .. واسراراً ..

ولكن دون جدوى !

وأولو العزم من الرسل .. اي اولو الارادة الخارقة ، التي

ليس كمثلها ارادة في البشر ..

ونوح عليه السلام .. احـــد اولئك الخمسة ..

« ومِنكَ

« ومِن نوح

« وابراهيم

« ومُوسى

« وعيسى .. »

يبعثهم الله .. رؤوس موجات ، رحمة ، جديـــدة .

ويامر كلاً منهم .. ان يشع موجته ..

فيتصلب الناس جميعاً .. في زمانهم ، ضدهم ..

فيزداد كل منهم .. تصلبــــاً .. ويتحـدى النـــاس جميعـــاً ..

وذلك مقامهم .. وذلك قدرهم المحتوم ..

« الذين يُبلغون رسالات الله

« ويخشونـــهُ

« ولا يخشون أحداً إلا اللهَ ..»

أحــــداً ؟!

فيهم جبروت طاقة .. لا تنثني الا لله ..

لو تحداها الناس جميعـــاً .. ناضلتهم وتغلبت عليهم .

وانظر الى عظمة رجل .. يتحدى النـــاس جميعاً .. على امتداد الف عام ..

كيف يكون ؟

ماذا قال نوح .. وماذا قـال هؤلاء ؟

أعلن اليهم اولاً ..

انه رسول الله اليهم

« قال يا قوم اني لكم نذير مبين . »

جئتكم بهـــا بيضاء .. الحق هو كذا وكـذا ..

والباطل هو كذا وكذا ..

والانبياء .. أنوار .. تكشف الحق من الباطل دون تلبيس او خفـاء ..

فما هي عناصر دعوته ؟

« أن اعبدوا الله

« واتقوه

« وأطيعون . »

افراد العبادة لله ..

اتقـــاء المعاصي ..

طاعة الرسول .. لانه آمر بأمر الله ..

فما هي النتائج المترتبة على ذلك ؟

« يغفر لكم من ذنوبكم

« ويؤخركم إلى اجل مسمى

« إن أجـــلَ الله إذا جـــاء لا يُؤخرُ لو كنتم تعلمونَ . »

ثمرة اولئك الثـــلاث .. يغفر لكم .. يمحو الظلام من قـلوبكم ..

وعندما يأتي الموعد المحدد .. يثيبكم ثواباً عظيمـاً ..

« الى أجل مسمى » ؟

الى موعد محدد !

فماذا قـــال اهل الظلام ..

وماذا كان موقفهم ؟

ما نراك ..

الا بشراً ..

مثلنا !.

لا تبديل ..

لنواميس الله ..

ما قيل لنوح .. هو ما قيل لإبراهيم .. هو ما قيل لموسى .. هو ما قيل لعيسى .. هو ما قيل لمحمد !

وأول ما يطعن به اهل الظلام .. ذلك المطعن ..

أن الرسول بشر ..

جثة من الجثث ! ياكل .. ويشرب .. ويبول .. فما امتيازه علينا ؟

انظر إلى قولهم :

« ما هذا إلا بشر مثلكم

« يأكلُ مما تأكلون منهُ

« ويشربُ مما تشربون . » !

هذا هو المطعن الأساسي .. الذي يواجه اي رسول ..

إنه في اعين .. اهل الظلام .. مجرد جثة ..

تأكل مما يأكلون منه ..

وتشرب مما يشربون ..

فما هو الامتيـــاز الذي يميزهم ، حتى يستبيحوا لأنفسهم أن يزعموا أن الله .. وقع اختياره عليهم ، وارسلهم رسلاً ؟

وهذا الحجاب هو أغلظ الحجب ، التي تحجب اهل الظلام ، عن رؤية حقائق الانبيـاء ..

وهو منطلق الرفض العام .. الذي يرفضون منه كل القضية بحذافيرها ..

فالانبياء عندهم ، كذابون !

« كذّاب أشر »

ومـا هو إلا مجنون !

« مجنون وازدجرَ »

وعلى هـذا ينبغي البعد عنهم .. وعدم طـــاعتهم .. بل ومحـاربتهم !

« ولئن اطعتم بشراً مثلكم انكم إذاً لخاسرون » !!

منطق ، في تفكيرهم ، معقول جـداً ..

كيف يطيعون .. مجرد جثة .. لا تمتـــاز عنهم في شيء ؟

فماذا قال .. قمة موجة النور ؟

انلزمكموها ..

وأنتم لها ..

كارهون !.

انلزمكموهـــا ؟

مستحيل ان يقول هذا إلا الله !

لان الإحكام ، والجمال ، والانسياب ، والانسجام ، وما شئت من كلمات الثناء ، وما تصل اليه العقول ..

كل اولئك ، مكنون فيها ، ويموج في بحـــارها ..

وسوف يبقى هذا الكتاب العزيز ، بكراً ، ابداً ..

مهما فهم منه الفاهمون ، او اغترف منه المغترفون ..

لانه كلام الله ، وكلام الله ، لا تنقضي عجائبه ، ولا تنفـد عطاياه .

فالشمس ، يأخذ منها الجميع ، وما نقص ذلك منها شيئاً ..

فكيف بكـلام الله ؟!

انلزمكموها ؟!

لا يُتصور ، الزام احد ، ان يعتقد عقيدة .. يكرهها ..

مستحيل ان يحدث هذا ..

قد يكون ممكناً أن تكره الناس .. على الماديات بالقوة ..

اما ان تُكره قلباً ، على الايمان بالله ..

فهذا مستحيل ، ثمّ مستحيل ..

« لا إكراه في الدين » !!

وانظرها هنا .. وسبح ربك بالعشي والإبكار ..

التطابق المذهل بين الناموسين :

« أنلزمكموها وأنتم لها كارهون »

و « لا إكراه في الدين » !!

ثُم قعْ ساجداً ، شاكراً لربك ، نعمة هذا القرآن !

متى قال نوح .. عليه السلام هذا ؟

حين ثار الجدال بينه وبين قومـه ..

« فقال الملأ الذين كفرُوا من قومه

« ما نراك إلاّ بشراً مثلنا

« وما نراك اتبعك إلا الذين هُم أراذلنا بادي الرأي

« وما نرى لكم علينا مِن فضل

« بل نظنكم كاذبين .. » !

قوة المقـــاومة صادرة من « الملأُ » .. أي الشخصيات الضخمة .. اصحاب المصالح .. اصحاب الـثروات والأوضاع .. هؤلاء دائماً هم الذين يقاومون الدعوات .. خوفاً من التغيير ..

الضربـة الأولى التي يوجهونهـا إلى نوح .. عليه السلام .. هي :

« ما نراك إلا بشراً مثلنا » ..

نراك ؟!. انت في اعيننـا مجرد بشر .. ياكل ويشرب ويبـول ..

فمن اين لك ما تزعم يا نوح ؟. ليتك تتميز بأي ميزة تؤهلك لمـا تزعم !

والضربة الثـانية

« وما نراك اتبعك إلا الذين ُهم أراذلنا » ..

أحط الناس واحقرهم .. هم الذين اتبعوك .. لم يتبعك رجل محترم ..

لم يتبعك رجل ذو جاه ، أو ذو منصب ، او ذو عقل ..

ومعنى هذا ان ما جئت به يا نوح . مجرد افكار منحطة ، لا تستهوي إلا الأراذل من الناس ، الذين يطمعون أن يؤدي ما تدعو اليه إلى رفع خستهم ودناءتهم !

والضربة الثالثة

« بادي الراي » ..

السفهاء ، الاغبياء ، المتخلفون عقلياً .. هم اتباعك !

تلوح رذالتهم للناظرين في بادي النظر بلا احتياج إلى تأمل وتعمق ..

نظرة واحدة إلى اتباعك من السفلة يتضح منها ، انهم جماعة من الغوغاء الذين لا اعتبار لرأيهم في شيء !

الضربة الرابعة

« وما نرى لكم علينا من فضل » ..

ليس هناك اي ميزة فيك أو في اتباعك يا نوح ، تميزكم علينا ، حتى نتبعك ..

لا علم ، ولا مال ، ولا اوضاع ، ولا سلطة ، ولا أي شيء من مقومات العظمة والقيادة ..

الضربة الخامسة

« بل نظنكم كاذبين » ..

بل نقطع انكم جميعاً أدعيـــاء .. تزعمون مزاعم جنون وخبـال !

وهكذا دمر هؤلاء .. نوحاً ، وافكاره ، واتباعه ، وكل مـا كان منهم تدميراً ..

رفض مطلق للموضوع من أساسه !

مشكلة خالدة .. تتجدد كلما جـاء نبي بالحق ، وثار المجتمع عليه وعلى مبادئه التي تبدو في نظرهم جنوناً وخبالاً !

ذلك أن الانبياء ينادون بالحق والمجتمعـات لا ترغب في ذلك الحق .. لانه يزعجها ازعاجاً شديداً .

ومن هنا كان الذين يستجيبون للأنبيـاء في اول الدعوات ، عدداً قليلاً جداً من اهل التجريد .

كالشباب الذي لم يتلوث بعفونات المجتمع ..

او الفقراء الذين لم يحتجبوا بحجاب الثروة ..

او صاحب عقل راجح ، يهديه تفكيره إلى النور المتلألىء في

الدعوة الجديدة .

وهؤلاء جميعاً في نظر عتاة المترفين ، ودهاة السياسة ، مجرد مجموعة من « المهاويس » .. او المجانين على حد تعبيرهم !

او « اراذلنا » كما عبروا !

ولننظر الآن ، إلى قائد الدعوة الجديدة ، كيف واجه هؤلاء ..

« قال يا قوم ارايتم إن كنتُ على بينة من ربي

« واتاني رحمة من عنده فعُميت عليكم

« أنلزمكموها وانتم لها كارهون . »

« على بيّنة »

واضحة دالة على صدقي ..

« من ربي »

نازلة علي من ربي .. وحياً يُوحى ..

« واتاني رحمة من عنده »

وزادني نسبة من الرحمة ، تفضلاً منه وامتنانا ..

« فعُميت عليكم »

فخفيت عليكم ، ولم تستطيعوا ابصارها ..

وها هنا المفتاح الخطير ، يكشفه لنا نوح .. عليه السلام ..

إن القوم ُعمي ، لا يبصرون ..

ولكن القوم بصرهم قائم ، فما سر وصفهم إذاً بالعَمى ؟

السر :

فانها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور » ..

فما هو سر ذلك الناموس ؟

سره رهيب عجيب ..

كل قلب يتجه الى غير الله ، يهوي في الظلمات ..

ومتى دخلت الظلمات فإنك لا تستطيع الابصار ..

كما هو القانون المادي ..

افتح عينيك في ظلام دامس .. لا تبصر شيئاً !

فأولئك الذين كفروا من قومه ، اي اتجهت قلوبهم الى غير الله ..

هم في ظلمات ، فهم لا يبصرون ..

ولن يبصروا اذاً أبـــداً ، حتى يؤمنوا بالله .. اي تتحول قلوبهم الى الله ..

هنالك يخرجون من الظلمات الى النور ..

هنالك يبصرون !

هكذا أوتوماتيك !

« فعُميت »

ها هنا المفتاح الرهيب ..

وما داموا في الظلمات ..

مستحيل ان يبصروا ، نوحاً ، ولا ان يسمعوا كلامـــه .

واوتوماتيك ينفرون اشد النفور مما يدعوهم اليه، ويكرهونه أشد الكراهية ..

« انلزمكموهـــا »

مستحيل قهرهم على الايمان ، لأن الايمان تحول قلبي ، ولا سلطان لاحد على القلب .

« وانتم لها كارهون »

أشد الكراهة ، ونافرون اشد النفور !

الا ان نوحاً .. عليه السلام ، يسجل نواميس حقيقيـــة حقيـة !

ثم ماذا بعد ان اعلن نوح ، عليـه السلام ، اليهم سر امرهم وحقيقة حالهم ؟

تنزّل الى مستوى عقولهم ، وخاطبهم بمنطق المـادة الذي لا يفهمون سواه ..

« ويا قوم لا اسالكم عليه مالا » ..

لا اطالبكم بثمن ما أدعوكم اليـه ..

سبحان الله !

ان هؤلاء الانبياء ، لا تتناهى بدائع كمالاتهم ..

انهم يتكلمون من موج . رفيع ، بديع جميع !

لا اسالكم عليه مالاً ؟!

مالاً ؟

مالاً ما ، قل او كثر ، فإنه محرم علينا ابداً !

« إن اجري إلا على الله »

نحن معاشر الانبياء اجورنا على الله .

ثم ينتهض النبي العظيم ، ليسقط تشهيرهم باتباعه فيقول :

« وما أنا بطارد الذين آمنُوا »

ليس هؤلاء اراذل كما تزعمون انهم خلاصة البشر ..

« إنهم ملاقوا ربهم »

هو اعلم بحقائقهم ..

« ولكني أراكم قوما تجهلون .. »

الجهل هو الذي اعماكم عن حقائقهم ..

« ويا قوم من ينصُرُني منَ الله إن طردتهم أفلا تذكرون .. » !

أين اذهب ، ان استجبت لمقترحاتكم ؛ وطردت هؤلاء العظماء ، الذين تجردوا لربهم ؟

اعلان

مبادیء

الثورة

إذا اردت

أن نتعلم مبادىء التوحيد ، وأصول التوحيد ، وحقائق التوحيد المصفاة ..

خذها من أفواه الأنبياء ..

خذها مما أذاع نوح ، عليه السلام :

١ – « ولا اقول لكم عندي خزائن الله ..

٢ ولا أعلم الغيب

٣ – ولا اقولُ إني ملك

٤ – ولا اقول للذين تزدري أعينُكم لن يؤتيهم الله خيراً

٥ – الله اعلمُ بما في انفسهم

٦ – إني إذاً لمن الظالمين .. »

ستة مبادىء ، أعلنها نوح .. عليه السلام .. على الجميع ،

لتتحدد أصول دعوته ..

لا اقول لكم .. عندي خزائن الله ..

لا أعدكم بمال ، ولا سلطان لي على شيء من خزائن الله ، إني مجرد عبد ، لا املك شيئاً .

ولا أعلم الغيب ..

ولا علم لي بشيء من الغيب .. إلا أن يأذن الله لي بشيء من الغيب ..

ولا اقول إني ملك ..

منزه عن الطعام والشراب وقضاء الحاجة .. بل آكل وأشرب واقضي الحاجة ، مجرد بشر مثلكم ..

ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا ..

ليس هذا من حقي .. فالخير بيده سبحانه يؤتيه من يشاء ..

الله اعلم بما في انفسهم

أما أنا فلا علم لي بشيء

اني إذا لمن الظالمين ..

لو زعمت لنفسي شيئاً من اولئك الخمس .. فأنا اشد الناس ظلماً لنفسه وللناس ، ان زعمت ما ليس لي بحق ..

وهكذا تجرد تام لله ..

وتجرد تام من المزاعم الباطلة ..

لا تنتظروا أن تجدوا عندي ، منافع مادية .. سوف تحصلون عليها إذا اتبعتموني .. فمن جاء فليأت ، لله .. متجرداً من طلب الدنيـــــا ..

متجرداً من شهواته ، وأهواء النفوس ..

وتلك المبادىء ، هي أعلى ما يمكن ان تعلنه ثورة من الثورات في مجال تحرير العقل البشري .

متى

كان

نوح

نبدأ

القصة الخالدة من اولها فنقول :

نوح .. عليه السلام .. هو أبو البشر الثاني ..

فالأب الأول .. معلوم وهو آدم .. عليه السلام ..

ونوح .. هو الأب الثاني ، لعموم الطوفان .. حتى هلك كل حيّ على وجه الأرض ، ونشأت البشرية مرة اخرى ، من ذرية نوح

وجعلنا ذريته همُ الباقين » :

وهو اول الرسل .. بعد آدم ..

والنبي الثاني .. بعد آدم .. والأول هو جده .. إدريس ..

هذا على المشهور ..

ومعلوم انه احد اولي العزم من الرسل .. وهم نوح ، وإبراهيم ،

وموسى ، وعيسى ، ومحمد .. صلوات الله وسلامه عليهم !

فهو احد الخمسة الكبار ، الذين هم ذروة الرسل ..

فنحن جميعاً ، بنـو آدم ..

ثم نحن جميعاً ، بنو نوح !

وهو عليه السلام .. ذو عمر طويـل ، بصريح القرآن :

« فلبث فيهم الف سنة إلا خمسين عاماً » !

وعلى الذين يستبعدون ذلك ، ان يعلموا أن ما نطق به كتاب الله .. هو الحق ، وان وساوسهم هي الباطل !

واستفاض ذكر قصة نوح ، في كتاب الله ، بما يوازي خطورة شانه ، ففصلها القرآن تفصيلاً ..

وسجلها من وجوهها المختلفة تسجيلاً !

أما اولاد نوح .. الذين تسلسلت منهم البشرية ، بعـــد الطوفان ، فهم

سام .. حام .. يافث ..

وهؤلاء غير ابنه الذي هلك بالموج ، وقيل كان اسمه كنعان !

وأما إمرأته الكافرة ، فقد هلكت مع المغرقين ..

ونطق القرآن العظيم ، بكفرها وإجرامها ..

« **ضرب اللهُ مثلا للذين كفروا امرات نوح وامرات لوط ..**

« **كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ..**

« **فخانتاهما ..**

« **فلم يُغنيا عنهما من الله شيئاً ..**

« **وقيل ادْخلا النار مع الداخلين .. »** !

وأما ابنه الذي هلك غرقاً ، فقد نطق القرآن بكفره :

« **قالَ يا نوحُ ..**

« **إنهُ ليس من اهلكَ**

« **إنهُ عملٌ غير صالح .. »**

أي ، هو كافر ، ليس من اهلك ، ليس من موجتك موجة النور ..

إنه ظلماني ، من اهل النار !

فرد

يواجه

البشرية

اعجب واغرب

أمر من أمور نوح عليه السلام ..

ان احداً من الرسل ، لم يمكث يدعو قومه ، مثـل ما مكث نوح في قومه

فلم نسمع ان رسولاً مكث في قومـه

« الف سنة .. إلا خمسين عاماً »

غير نوح

فهو صاحب هذا المقام الفذ ، ينفرد به عن سائر الرسل !

٩٥٠ عامـاً [1] ..

---

(١) عند اهل الكتاب - ٦٠٠ سنة قبل **الطوفان** — و ٣٥٠ سنة بعد الطوفان .

عشرة قرون ، وذلك الرجـل ، العظيم، الصابر ، ذو الارادة الجبـــارة ، يواصل دعوة قومه ، ليلاً ونهـــاراً ، جهراً واسراراً !

ما الحكمة من إطالة المدة التي لبثها نوح في قومه ؟

الحكمة ، ان هؤلاء قوم مجرمون ، شديد اجرامهم ، قـــد أجمعوا على الكفر ، بلا استثناء ..

فإن رسولاً يلبث نحو الف عام في قومه ، ولا يخرج منهم إلا بستة من المؤمنين ، لدليل قاطع على تاصل الاجرام فيهم ، وانه لا علاج لهم إلا قطع دابرهم !

ولئلا يكون لهم حجة عند الله ، اقام لهم الدليل على حتمية إبادتهـم ..

٩٥٠ عاماً ، يدعوكم رسولي ..

بكل الوان الدعوة ، فلم يزدكم دعاؤه إلا فراراً !

فكان حتمـــاً ان استاصلكم .. واطهر الأرض من خبثكم !

وعند اهل الكتاب تصوير لطيف لهذا المعنى ..

قـالوا :

« ورأى الرب ان شر الانسان قد كثر في الأرض .

« وان كل تصور افكار قلبه إنما هو شرير كل يوم .

« فحزن الرب انه عمل الانسان في الأرض .

« وتأسف في قلبه .

« فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الانسان الذي خلقته .

« الانسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء .

« لأني حزنتُ اني عملتهم .

« واما نوح فوجد نعمة في عيني الرب . » !

وقالوا

« فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد اتت امامي .

« لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم .

« فها انا مُهلكهم مع الأرض . » !

هذا تصوير ..

وأما القرآن العظيم ، المهيمن على كتب الله جميعاً ..

فإنه يشير إلى مثل هذا المعنى ، بما يناسب ما ينبغي من تنزيه

وتمجيد لله » فيقـول :

« **فلما آسفُونا ..**

« **انتقمنا منهم ..**

« **فاغرقناهم اجمعين** » !

فلما آسفونا ؟

فلمـا اغضبونا ..

والفرق بين تعبير القرآن ، وتصوير اهل الكتاب ، فرْق ما بين المشرقين !

فالحكمة في إطالة مدة لبث نوح ، عليه السلام ، في قومه ، حتى بلغت نحو الف عام ..

أن تقوم لله عليهم الحجة ، حتى إذا أُغرقوا ، كان حقاً وعدلاً ما جرى عليهم ..

ثم إظهار حقائقهم للعيـــان ، انهم لو مكث فيهم طول الزمان ، وليس الف عام ، ما تزحزحوا عن جمودهم على الكفر والإجرام !

إلا ان مـــا هو اعجب ، في عالم تحليل الشخصية النوحيـة .

هو حقيقة نوح !

أيّ قوة ، جبـــارة ، هدّارة ، نوّارة ، كانت شخصية نوح ؟

إن صبر ، ومصابرة ، اي انسان ، قد يمتد عشرين ، ثلاثين ، اربعين سنة .

اما ان يمتد الصبر ، الف سنة إلا خمسين عاماً ، فهـــذا وجه العجب العجاب !

وكيف قضاها ؟

عاشها ، مضطهداً ، محتقراً ، يزدرونه ، ويحتقرونه ، ويرمونه بالجنون والخبال ..

بل ويضربونه

بل ويوصون اولادهم وبناتهم بابعد عنه وعدم مخالطته لأنه مجنون !

ويتلفت البطل العظيم الشامخ ، من حوله ، بعد مئـــات السنين ، فلا يجد حوله ، إلا « قليل » ، قيل ثلاثة ، وقيل ستة ، وقيل اربعين !

وقيل ، اثنين وسبعين غير اولاده !

هذه حصيلة الف عام !

فرد ، واحد ، لا يملك من شيء من اسباب القوة الدنيوية ..

يواجـــه ، البشرية كلها ، بكل ما تملك من اسبـــاب دنياها ..

فريضة ، حتميـــة ، اوجبها الله عليكم ، اولي العزم ، من الرسل ..

ها أنت ، يا نوح ، تقف وحدك ، امام البشرية كلهـا ، طيلة الف عـام !

وها هو ، إبراهيم ، يقف من بعدك ، وحده ، امـام النمرود ، أمام دولة بأكملها !

ثم ها هو ثالثكم ، اولي العزم ، موسى .. يقف وحده يوم الزينة ، امام فرعون ودولته !

ثم ها هو ، رابعكم ، عيسى ، يقف وحده ، امـــام جبروت الرومـان وإجرامهم !

ثم ها هو ، خاتمكم ، يقف وحده ، يوم الغار ، يوم

« **لا تحزن ان الله معنا** » !

فريضة ، تحتمت عليكم ..

وذلك ، مقامكم ، الرفيع ، المنيع ، الجميع ..

سادتي ..

وسادة البشر اجمعبن !

بلاء

نوح

من الداخل ..

افـــانين

الرب سبحانه ..

في تربية رسله ، تحار لها العقول !

اجتمع على نوح ... كل الوان الضرب من الخـارج .

فكل الناس ضده ..

هذا معقول .. عند العقول !

أما اللامعقول ، عند كل العقول ..

أن ُيضرب نوح ، من داخله ، وهو لا يدري .

ليكون الضرب أشد وقعاً ، وأشد تربية وتاديباً !

ومعلوم أن زوجة الإنسان ، وابنه .. هم اقرب الكائنات إلى حياته الخاصة

فالزوجة تلازمه ، في كل أمره ، وتطلع على كل ما خفي من حياته عن الناس ..

والابن هو رجاء أبيه ، وثمرة كفاحه ، وأقرب الناس اليه ، والولد سر أبيه !

هذا هو السائد ، والشائع في النــاس ..

ولكن الرسل ، يتلقون من أفق أعلى ، ممــا يُلقى إلى كل الناس ..

وهذا ما كان بالنسبة إلى نوح ..

أما زوجه ، أما إمرأته ، فخانته ، في صميم رسالتــه ..

فكانت كافرة ، مجرمة ، تتهمه في قومها بأقبح تهمــة يُرمى بها إنسان !

« قيل لابن عباس .. رضي الله عنهما : ما كانت تلك الخيانة ؟

« فقال : كانت امرأة نوح تقول : زوجي مجنون ..

« وإمرأة لوط تدل الناس على ضيفه إذا نزلوا به » !

زوجي مجنون ؟

هذا هو رأي الزوجة ، في زوجها ؟

وهو نفس رأي قومها في زوجها :

« وقالوا مجنونٌ وازدُجر » !

فانظر مدى الصعوبة .. حين تكون الزوجة على الضد تماماً من افكار زوجها ؟

إنها اعظم خيانة ..

« فخانتاهما .. »

إمرأة نوح ، تخونه ، تكفر به وبما جاء به ، وتوافق قومها في وصفه بالجنون !

وإمرأة لوط ، تخون زوجها ، بالكفر به ، ودلالة قومها على ضيفه !

هذه ضربة عنيفة ، من داخل نوح ، في صميم حياته الخاصة ..

وأخرى ، أشد واثقل ..

أن يظن نوح ، ان ابنه من اهله ، من موجته ، مؤمناً به ، فتكون المفاجأة انه ، ليس من اهله ؟

« وهي تجري بهم في موج كالجبال ، ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بُني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين .

« قال : سآوي إلى جبل يعصمني من الماء

« قال : لا عاصم اليوم من امر الله إلا من رحم وحال بينهما الموجُ فكان من المُغرقين . » !

ومن باب الاشـارة في الآيات :

« ولا تكن مع الكافرين » ، إشارة إلى كفر الابن ..

« وكان في مَعزل » .. إشارة إلى أنه في مَعزل ، تام ، عن موجة الايمان ، معزول عزلاً تاماً عن تلك الموجة ..

وأخطر إشارة في .. « وحال بينهما الموجُ » ؟

أي .. وحال بين نوح وابنـه ، اختلاف الموج ، نوح موج نوراني ، وابنه موج ظلمـاني .. فهناك تضاد طبيعي بـين الموجتين ، لا التقاء البتـة ، ولو أن الابن من صُلب نوح ، من جهة الجسم ؟

إلا أن نوحاً ، كان يجهل هذا من ابنه ، ولا يعلم انـه من الكافرين ؟

حتى اللحظة التي كشف الله له فيها حقيقة ابنه هذا .

« ونادى نوح ربه فقال : رب إن ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكمُ الحاكمينَ .

« قال : يا نوح إنه ليس من اهلك انه عمـل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني اعظك ان تكون من الجاهلين . » !

مناجاة رهيبة ، زلزلت نوحاً ..

« إنه ليس من اهلك ؟

« إنه عمل غيرُ صالح » ؟

« فلا تسألن ما ليس لك به علمٌ » ؟

« إني أعظك ان تكون من الجاهلين » ؟

أربع قوارع ، لو قُرع بواحدة منهن جبلاً لتلاشى .

ليس من أهلي ؟

كنعان ، كافر ، وانا لا اعلم ؟

عملٌ غيرُ صالح ، ولا يصدر عنه عمل صالح ، لأنه كافر ، كل عمله غير صالح ؟

إبني ، هـذه حقيقته ؟

أعظك ان تكون من الجاهلين ؟

أنا من الجاهلين .. نعم .. نعم .. حتى ابني اقرب النـــاس اليّ ، اجهل حقيقته ..

وتلقاها نوح ، فوعاها .

فتموج فؤاده إلى ربه :

« قال : رب اني اعوذ بك

« ان اسألك ما ليس لي به علم

« وإلا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين . » !

وهكذا جُمع على نوح ..

التضاد من الخارج ، فكل الناس عليه وضدّه ..

والتضاد من الداخل ، فزوجته ، وابنه ، عليه ، وضده ..

ليجتمع عليه ، التضامن الخارجي والداخـلي .

فيرتفع إلى مقام التغريد .

ويكون منه أجمل تغريد ..

« اني ..

« مغلوب ..

« فانتصر .. » ؟!

تحليل

اجرام

قوم نوح ..

اذا دعـــا

مثل نوح ، وهو ما هو ، من رفيـع المقام ، وعظيم العلم ..

على قومه ، دعاء يطلب فيـه استئصالهم عن آخرهم ، ذكوراً وإناثاً ، وشباباً وشيوخاً ، واطفالاً ..

فيجأر ، ويزأر :

« رب .. لا تذر .. على الأرض .. من الـــكافرين دياراً . » ؟ !

دياراً .. واحداً من الناس يدور على وجهها ويمشي عليها ..

كان حتماً على اهل العقول ان يبحثوا طويلاً ..

لماذا هذا من نوح ؟

لمــــاذا يطلب إبادتهم ، ألأنهم آذوه ، وشتموه ، وضربوه ، وهددوه بالقتل ، والنفي ، واحتقروه ، واحتقروا من تابعوه ، طيلة

الف سنة إلا خمسين عاماً ؟

كلا ، ليس من اجل ذاك ، لأن الرسل ، مبرءون من الغل والحقد ، وتلك النوازع الدنيا .

أمن اجل ان الله نبَّاه ، انه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ، فلا امل هناك أن يزداد المؤمنون ، مؤمناً واحداً جديداً ؟

كلا ، ليس من أجل ذاك ، فإن الرسل بُعثوا رحمة ، ولم يُبعثوا لطلب إبادة الأمم .

إذاً لماذا طلب نوح إبادة قومه عن آخرهم ؟

لسبب خطير ، غاية الخطورة ..

لأنهم نوعية إجرامية ، فاجرة ، ماكرة ، كافرة ..

لو استمروا مليون سنة ، لاستمروا كفاراً وفُجَّاراً ؟

ولو استمروا يتناسلون على امتداد آلاف السنين ، لجاء نسلهم فجاراً ، وكفاراً ؟

هذا هو السر الخطير كل الخطر .

وهو سبب صدور الأمر الإلهي بإبادتهم جميعاً ..

ومنع الاستشفاع فيهم ..

« ولا تُخاطبني في الذين ظلموا انهم مُغرقون . » !

إنهم نوعيات ظلمانية ، لا يصدر عنها إلا الظلام والاجرام ..

مثلهم مثل بذور فاسدة متعفنة ، يسارع الزارع إلى إحراقها ؛ ويأتي بأخرى صالحة للاستنبات ..

« ومثلُ كلمة خبيثة

« كشجرة خبيثة

« اجتثت من فوق الأرض .. » !

سموم ، لو لم تستأصل .. لانتشرت وقتلت وأهلكت ؟

ولقد اعلن هذا نوح ..

أعلن نوعية قومه ؛ الى الله .. والمرسلون لا يكذبون ؛ فكيف إذا كان حديثهم الى ربهم ؟

« وقال نوح

« رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً .

« انك ان تذرهم يُضلوا عبادك ..

« ولا تلدوا إلا فاجراً كفاراً . » !

لا يلدُوا ..

الا فاجراً ..

كفاراً ؟

العقرب لا تلد الا عقرباً ..

والشوك لا ينبت الا شوكاً ..

ناموس ثابت ، لا يتبدل ولا يتحـول ..

وهؤلاء كفار فجار .. لا يلدون الا كفاراً فجّاراً ..

فاستأصلهم ؛ واستبدلهم ..

وتقرير نوح عن قومه ؛ يعتبر ادق التقارير عن تحليـــل قوم نوح ؛ وما ينبئك مثل خبير ..

خبرة رجل عالج قومه ؛ بكل ألوان الفحص والبحث والدعوة طيلة الف سنة الا خمسين عاماً ..

خبرة ٩٥٠ سنة من المعاشرة ؛ والمواجهـة ؛ ودعوة ؛ هؤلاء المجرمـين .

فقراره قرار خبير ؛ ثمّ خبير ..

واليك نص تقرير نوح عن قومه ..

وهو وثيقة نادرة ؛ تاريخية .. مقدسة :

« قال ..

« رب إني دعوتُ قومي ليلاً ونهاراً .

« فلم يزدهم دعائي إلا فرارا .

« واني كلما دعوتهم لتغفر لهم ..

« جعلوا اصابعهم في آذانهم ..

« واستغشوا ثيابهم ..

« واصروا ..

« واستكبروا استكبارا .

« ثم اني دعوتهم جهارا .

« ثم اني اعلنتُ لهم ..

« واسررتُ لهم اسرارا . » !

هذه هي الوثيقة المقدسة ..

وهذا هو تقرير الخبير .. نوح .. عن قومـه !

وهو اصدق وصف يصدر عن أصدق رجل .. خبرهم ٩٥٠ عـامـــاً !

وقد صدّقه ربه .. ومن اصدق من الله قيلا ، فقال تعليقاً عليه :

« مما خطيئاتهم أغرقوا ..

« فأدخلوا نارا .. » !

هذا عن التقرير الذي رفعه نوح .. إلى ربه .. عن قومـه ..

فماذا عن وصف الله . لهؤلاء القوم المجرمين ؟

انهم كانوا

هم اظلم

واطغى

قال عزة ثناؤه

« وأنه أهلك عادا الأولى »

« وثمود فما أبقى »

« وقوم نوح من قبلُ إنهم كانوا هم أظلم وأطغى » » !

كانوا .. أظلمَ .. من عاد .. رغم إجرامها المشهور ..

وكانوا أظلم .. من ثمود .. رغم اشتهارها بالظلم ..

فكيف كان ظلم قوم نوح ؟

ومن باب الإشارة : « كانوا هم أظلمَ » .. أي أشد ظلمة .. ظلماتهم شديدة .. لا أمل في استنارتها !

وأطغى ؟

أشد طغياناً .. من عاد وثمود ..

كانوا طغاة .. جبابرة .. فجّارا !

هذا وصف من اوصافهم ..

فماذا عن غيره ؟

« فكذبوهُ فـــانجيناهُ والذين معه في الفُلك واغرقنا الذين كذبوا بآياتنـــا ..

« انهم كانوا قوماً عمين . » ؟

كانوا .. قوماً .. عمين ؟

غير مستبصرين بآيات الله .. الدالة على توحيـــده .. لقساوة قلوبهم .. وشدة عمهم في الغفلة والضلال ..

كانوا .. قوماً .. لا يبصرون ..

وهل يبصر .. الذين هم في الظلمات ..

وقال تعالى في وصفهم .. على لسان نوح :

« .. ولكنني اراكم قوماً تجهلون . »

جهلهم متواصل مستمر !

وقال تعالى :

« .. وقُضي الامرُ ..

« واستوت على الجودي ..

« وقيل بُعدا للقوم الظالمين . » !

ُبعـداً ..

وكلما كان العبد أبعد عن ربه ، كلما كان احطّ وأرذل ..

فهم أراذل ، اسافل ..

وقال تعالى .. في سورة إبراهيم .. فيما آل اليـــه قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم .. حين كذبوا رسلهم :

« **واستفتحوا ..**

« **وخاب كل جبار عنيد .** » !

فهم .. قوم نوح .. خابوا الخيبة الكبرى ، حين أُغرقوا .. فأدخلوا ناراً ..

لأنهم .. جبابرة .. عنيدون .

والجبروت .. والعناد .. صفتان ملازمتان لكل طـــاغية ظلوم ..

وقال سبحانه :

« **ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا ..**

« **إنهم كانوا قوم سوء ..**

« **فاغرقناهم اجمعين .** » ؟!

لماذا أغرقناهم اجمعين بلا استثناء ..

شرّ .. كلهم ..

ولو علم فيهم خيراً ، لرحمهم ..

كانوا قوم سوء .. كأنهم مغمورون فيه .. متخذون منه ..

فاغرقناهم لذلك اجمعين ، تطهـــيراً للأرض من فسادهم ، وقلعاً لعرق غيهم وعنادهم عنها .

وقال تعـالى :

« .. ولا تُخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون .

« فاذا استويت انت ومن معك على الفُلك فقل الحمدُ لله الذي نجانا من القوم الظالمين . » !

ولا تخـاطبني ..

إياك .. إياك .. ان تخاطبني في هؤلاء المجرمين ..

إنهم .. حتماً .. مُغرقون ، عن آخرهم ، لـتراكب ظلماتهم وعفوناتهم !

وقال تعـالى :

« وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم ..

« وجعلناهم للناس آية ..

« واعتدنا للظالمين عذاباً اليماً . » !

لمّا كذّبوا .. الرسل ..

لأن تكذيب نوح ، تكذيب لجميع الرسل .. وجميع ما جاء به جميع الرسل ..

إنهم رفضوا كل رسالات الرسل ، وجحدوها وكذبوها ..

وجعلناهم للناس آية ..

برهاناً .. لجميع الناس .. في جميع العصور إلى آخر الدهور .

ان الشر ، إذا استأصل في شعب من الشعوب ، كان نذيراً باستئصاله ..

وقال عزّ من قائل :

« قالوا لئن لم تنته يا نوحُ لتكونن من المرجومين . » !

لئن لم تنته يا نوح ، عن هذا الخبال والجنون المتواصل .. لنقتلنك رجماً بالحجارة ..

إصرار على الاجرام ، وقتل الأنبياء اشد أنواع الاجرام ..

وقال :

« .. فأخذهُم الطوفان وهم ظالمون . » !

وهم جميعاً ، ظالمون ، مظلمون أشد الإظـلام ..

وقــال :

« كذبت قبلهم قومُ نوح وعادٌ وفرعونُ ذو الأوتاد .

« وثمودُ وقوم لوط واصحابُ لئيكة اولئك الأحزابُ .

« ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب . » !

فحقّ ، عقــابي ..

فوقع ، بهم عقابي ..

وكان حقاً وعدلاً ، لإجرامهم وظلمهم ..

وقــال :

« كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم ..

« وهمت كل امة برسولهم ليأخذوهُ ..

« وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ..

« فأخذتهم ..

« فكيف كان عقاب . » ؟

ليأخذوه ، فأخذتهم ..

جهالها عجيب غريب ..

سبحان من تكلم بهذا .. سبحان ..

دبر المجرمون لياخذوا رسولهم ..

فـأخذُتهم .. انا ..

فكيف كان عقابي ..

هم يدبرون لأخذ ، فرد واحد . وهم أمـــة مجتمعة على فرد ، وهذه خسّة ونذالة وضعة ، ان يجتمع الملايين على فرد واحـد ..

أما أنا ، فواحد ، أخذ وحده أمـــة باكملها .. وهذه هي العزة الحقة ..

أن يتصدى واحد للامـة ..

فكيف كان عقـابي ..

كان عقاب ، العزيز .. الذي له العزة جميعـاً ..

وفي هذه الآية إشارة .. إلى خسة ولؤم قوم نوح ، حـــين يجتمعون جميعاً .. على البطش بفرد واحـد ..

وقـال :

« وقوم نوح من قبلُ إنهم كانوا قوماً فاسقين . » !

خرجوا خروجاً شديداً ، عن كل نواميس العبودية ، وفجروا فجوراً شديداً ..

وصلوا إلى نقطة اللاعودة ..

وقـال :

« **كذبت قبلهم قوم نوح ..**

« **فكذبوا عبدنا ..**

« **وقالوا مجنونٌ ..**

« **وازدُجر .. » !**

وقالوا .. هذا مجنون ..

وازدُجر .. وزُجر .. إلى حيث قد لطمه كل من يصل اليه ، ورماه بالحجارة كل من يمر عليـــه ، فصبر على أذاهم ، وبالغ في دعوته اياهم ..

وازدُجر ..

بكل ما يتصور ، وما لا يتصور .. من الوان الاستهانـــة والازدراء والايذاء .. زجروه ..

وهذا دليل على حقارة معادنهم ، وخسَّة صفاتهم الدنيئة ..

وبعد .. هؤلاء هم قوم نوح .. وهذا شيء عن تحليل صفاتهم .

ومجملها انهم كانوا .. كفاراً .. فُجّاراً ، ليلاً ونهاراً ، جهراً وإسراراً ..

ظواهرهم .. كفر وفجور ..

وبواطنهم .. كُفر وفجور ..

استمكن الاجرام منهم .. فهم سافلون .. أخسّاء في خصومتهم دنيئون في تصرفاتهم ..

هم الأراذل .. ويرمون اتباع نوح بانهم الأراذل ..

وهم المجانين .. ويرمون نوحاً .. بأنه مجنون ..

فحقّ .. عقابي ..

فكيف .. كان عقابي ..

« فكيف كان عذابي ونذُر . » ؟!

وخلاصة الخلاصة .. من تهليل قوم نوح ، هو قوله سبحانه :

« انهم كانوا ..

« قوم سوء .. » !

قوم شر ..

اني

مغلوب

فانتصر !

بلغت الامور منتهاها ..

بين نوح وقومه ..

حين سئموا جداله ، على امتداد مئات السنين ..

فلم يجدوا أمامهم .. إلا الوسيلة الوحيدة ، التي يلجأ اليها في النهاية .. أعداء الرسل ..

وهو تهديده ، بالقتل .

« قالوا ..

« لئن لم تنته يا نوحُ ..

« لتكونن من المرجومين .. » !

تهديد صريح ، قاطع .. بقتله رجماً بالحجارة ، وهي أبشع طريقة للقتل في زمانه ..

لئن لم تنتهِ .. إما أن تكف نهائياً عن هذه الخرافات التي

تدعونا اليهـــا .. وإما القتـل .. لنستريح من هذا الصُداع المستمر ..

وطبيعي أن تهديد نوح .. تهديد لأتباعه بالقتـــل كذلك .. فمتى ُقتل الزعيم .. فمن الحتم أن ُيقتل أتبـاعه .. والإشارة إلى ذلك في قوله :

« من المرجومين » ..

أي لست وحدك الذي سوف ُيقتل رجماً ، بل ومعك اتباعك وانت منهم .. أحد المرجومين ..

فالتجأ نوح إلى ربه :

« قال رب ان قومي كذبون .

« فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي من المؤمنين . » !

فافتح .. فتحاً ..

لا يدري نوح ، كيف النجاة من القتل له ولمن معـــه من المؤمنين ..

فوّض الأمر اليه ..

وفي موضع آخر .. من الكتاب :

« فدعا ربه ..

« اني مغلوبٌ ..

« فانتصر . » !

لا أستطيع شيئاً ..

إني مغلوب .. إني مغلوب ..

وفي موضع آخر :

« ونوحاً اذ نادى من قبل ..

« فاستجبنا له ..

« فنجيناه ..

« واهله .. من الكرب العظيم . » !

واي كرب هو اعظم من قتله وجميعَ من معه ..

وفي موضع آخر :

« وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه ..

« فاخذتهم .. » !

ليأخذوه .. ليقتلوه ..

فاخذتهم .. فاستأصلتهم ..

وكل ذلك مطوياً في قوله تعالى :

« ولقد نادانا نوحٌ ..

« فلنعم المجيبون . » !

وكانت الإجابة :

« ونجيناه واهله من الكرب العظيم . » !

لن يؤمن ..

من قومك ..

الا من قد آمن !.

قال تعالى :

« وأوحيَ الى نوح انه ..

« لن يؤمن من قومك ..

« الا من قد آمن ..

« فلا تبتئس بما كانوا يفعلون . » !!

لن يُؤمِنَ .. مستحيل بعد الآن .. بعد مئات السنين من الالحاح عليهم أن يؤمن منهم أحد ..

إلا من قد آمن .. منهم حتى الآن ..

لن يزيدوا واحداً .. لقد كانت هناك الفرصة لمن يريد الايمان ، فرصة تمتد مئات السنين !

هؤلاء القليل الذين اتبعوك .. هو ما أمكن استنقاذه من هؤلاء المجرمين !

فـــلا تبتئس .. فلا تحزن يا نوح ولا تغتم ..

بما كانوا يفعلون .. من القبائح .. واصبر .. فـــالنصر قريب !

فعلم هنالك نوح .. أن هؤلاء جميعاً حقت عليهم كلمـــة العذاب .. وحقّ عليهم الوعيد .. وحقّ عليهم العقاب ، وأنهم حتماً مغرقــون ..

« .. ولا تخاطبني ..

« في الذين ظلموا ..

« انهم مغرقون . » !

حتماً ، سيكون هذا .. فإياك إياك أن تخـاطبني فيهم ..

وها هنا ، وبعد أن علم نوح من الوحي ، انه لن يؤمن منهم بعد ذلك من أحـــد ..

وأنهم ميئوس تماماً من إيمانهم ..

وأنهم لو تُركوا الف عام ، مـــا تزحزحوا عن كفرهم واجرامهم ..

وانهم مغرقون حتماً .. عقاباً لهم ..

هنالك كان دعـــاء نوح :

« وقال نوحٌ ..

« رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا . » !

انّ نوحاً ، هنا .. لا يطلب استئصال قومْ ، هناك أمل في ايمانهم ، أو في عفو الله عنهم ..

كلا .. وانما أكد الله له استحالة أن يؤمن منهم من احد « لن يؤمن » ..

واستحالة ، أن يفلت من العقاب منهم من أحد ، « انهم مُغرقون » .. « فحقّ عِقاب » ..

اذا هو يطلب من الله .. ما تقدر وتحتم وقوعه ، ولن يكون شيء سواه ..

هو يتوازى ، مع ما قضى ربه في أمرهم .. وما أوحاه اليه في مصيرهم ؟

بل وينطق نوح .. وما ينطق عن الهوى ..

بالأسباب التي تحتم استئصالهم .. فيقول .

« انك ان تذرهم ..

« يضلوا عبادك ..

« ولا يلدوا ..

« **الا فاجرا كفّارا** » !!

ونُطق نوح ، هنا ..

يتوازى تماماً مع الأسباب .. التي قضى الله من أجلها ، القضاء عليهم عن آخرهم .. « انهم مُغرقون » ..

« **مما خطيئاتهم** ..

« **أغرقوا** .. » !

فلما تأكد نوح من حتمية اغراقهم ، بسبب استمرار اجرامهم ؛ استمرار خطيئاتهم

كان دعاؤه :

« **رب لا تـذر** » ..

فلو لم يدعُ نوح دعاءه هذا ؛ فان القضاء قد سبَق .. وتحتم .. ووقـع ؟

ولكن اكثر الناس .. يظنون ان استئصال قوم نوح .. كان بسبب دعائه هذا على قومه ..

والحقيقة ان استئصالهم قد فُرغ منه ؛ قبل دعائه ..

وانما كان دعاؤه .. تقريراً لما اعلمه الله أنه سوف يكون فيهم .

وهـذا من عظِيم مقـــامات الدعاء ..

أن تدعو بما يتوازى مع القضاء ..

فيستجاب الدعاء لانه عين القضاء ..

كما يستجاب لك ، اذا صليت على النبي .. صلى الله عليه وسلم ..

لأن الله قضى .. قبل دعائك أن يُصلى على نبيه ..

« ان الله وملائكته يصلون على النبي ..

« يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما . » !

أي .. قضيتُ ان أصلي على النبي ، فصلوا أنتم كذلك عليه ، أصلّ عليكم .

أي . أدخلوا في الموجة ؟

تمسسكم الموجة ..

فحين دعا نوح ربه

« رب لا تذر على الارض من الكافرين ديّارا . » ..

سبق علم ربه اليه :

« انهم مغرقون » ..

وحين قال نوح في دعـــائه :

« ولا يلدوا الا فاجرا كفـّارا » ..

شارحاً لأسباب ابادتهم ..

كان قد سبق اليه ، علم ربه ..

« مما خطيئاتهم اغرقوا .. » !

واصنع الفلك ..

بأعيننا ..

ووحينا !.

كيف النجاة ؟!

وجاءه الجواب من ربه ..

« **واصنع الفلك ..**

« **بأعيننا ..**

« **ووحينا .. »** !!

عجب ..

صدر اليه الأمر .. ان يصنع سفينة ضخمة .. وأن يشرع في العمل فوراً .

وان يصنعها بيديه لينال شرف صناعة سفينة النجاة بيديه ..

وليعمل معه فيها .. كل مَن آمن به من اولاده والمؤمنين ..

وكان نوحاً .. اوجس في نفسه : انهم سوف يمنعونني من صناعة السفينة ..

فكان الجواب : باعيننا .. لست وحدك يا نوح ؛ انني أراكم وأحفظكم وارعاكم ..

وكأنه هجس في نفسه : وما علمي بصناعة السفن ؟

فكان الجواب : ووحينا .. نحن نعلمكِ .. كيف تصنع السفينة ونُعلم مَن معـك ..

وبدأ نوح التنفيـذ فوراً ، فذهب الى مكان بعيد في الخلاء ، الا أنه بعيد كذلك عن البحر وعن الماء ..

وبدأ هو وأتباعه ، ينشئون ترسانة السفينة ..

فأحضروا ألواحاً ضخمة من الأخشاب ، وصنعوا المسامير اللازمة للسفينة .. والقار اللازم لطلائها من الداخل والخارج ، حتى لا يتسرب اليها المـاء ..

وكان تصميم السفينة الهندسي ، تصميماً يدل على الغاية في الدقة والتطور الذي يسبق عصره ..

مما أثار دهشة أعدائه .. فجعلوا يذهبون الى مكان صناعـــة السفينة .. لينظروا ماذا يصنع هذا الرجل .. الذي يزعمون أنه مجنون ؟

وها هو دليل جنونه ..

لقد مضى عليه سنوات .. وهو يعمل في تلك السفينة .. ومن عجب انها ليست على شاطىء الماء .. فلماذا يصنعها ، وإذا أتموا صنعها فاين تسبح .. أتسبح فوق هذه الرمال الصفراء ، ولو فكر أن يجرها إلى أقرب بحر منها ، فمن يستطيع أن يجر هذا البناء الضخم حتى يصل إلى البحر ..

إلا أنهم تنفسوا الصعداء ، حين اعتزلهم نوح ، وذهب بعيداً عنهم ، وانشغل عنهم بتلك اللوثة الجديدة .. لوثة صناعة سفينة لا هدف يُرجى من وراء صناعتها ..

واندفعوا جماعات .. ليشهدوا هذا الأمر العجيب ، والجنون الغريب ..

« ويصنع الفلك ..

« وكلما مرّ عليه ملأ من قومه ..

« سخروا منه ..

« قال إن تسخروا مِنّا .. فانا نسخرُ منكم كما تسخرون .. » !

ويصنعُ الفلك .. على مدى الشهور والسنين ، وهو يواصل ومَن معه .. الصناعة .. ويتحملون متاعب احضار لوازمها ..

وكلما .. مر ..

أصبحت نزهة الشعب .. يخرجون من المـــدينة .. للتندر والفكاهة والضحك على نوح ومـا يصنع ..

وكلما مرَّ .. جعلوا يغمزونه .. لقـد كنت رسولاً ، فصرت نجاراً ، يا نوح !

لعل هذا العمل أنسب لك ، وللاراذل الذين معك !

ولماذا هذه الضخامة التي تبلغ بها السفينة .. إنكم حفنة يكفيكم زورق صغير ؟

وجعلوا يتغامزون .. ويتضاحكون .. إلا أنهم في حيرة : لماذا يصنع هذا الرجل هذه السفينة الجبارة التي لا يوجد مثلهـــا في الأرض ؟

ثم مَن علمه وأتباعه هذه الصناعة الدقيقة المتقنة ؟

مَن وراء هذه الهندسة الرائعـة ؟

لقد رميناه بالجنون .. ولكن هل هذا عمـل مجنون ؟

وكلما .. مرَّ عليه ملأ من قومه سخروا منـه !

اجماع منهم على السخرية ..

انه شيء ظريف .. تسلية لذيذة للشعب كله '

ووقف .. سيدي .. وقرّة عيني ، وعملاق الحقيقة .. الصابر الشاكر .. عـــالياً .. يواجههم جميعاً .. وهم في أعينه كالذّرّ .. وقـــال :

إن تسخروا منا ، فانا نسخر منكم ، كما تسخرون ؟

مـــا هذا ؟.. هذا ناموس إلهي .. يسري ويجري في الناس أجمعـين ..

كيف .. انه ناموس حرب المراتب ..

الناس من اعلاهم .. الى ادناهم مراتب .. لكل انسان مرتبته ودرجتـه ..

فهم جميعاً .. مختلفين فرداً فرداً ..

وهذا الاختلاف في مراتبهم ، يترتب عليه الاختـلاف .. في أفكارهم ،وعقولهم ، ووجهاتهم ، وميولهم ، وأهوائهم ..

ومن هنا يرى كلٌّ منهم .. الآخر .. رؤية تخالف غيره ..

ومن هنـــا تنشأ السخرية .. كل انسان فيه نسبة من

السخرية ..

لأنه يرى غيره .. بمفهوم يختلف عن مفهوم هذا الغير ..

فالأعلون ، يسخرون من الذين دونهم .. لماذا يرفضون الخروج من الظلمات الى النور ..

وأهل الدرجات السفلى ، يسخرون من الأعلون ، ويعتبرونهم مجانين ، وعقولهم في خبال ..

وهذا القانون الجميل ، كان واضحاً جداً ، في ذلك المشهد ، مشهد صناعة السفينة ..

كلما مرَّ عليه ملأ من قومه سخروا منه ..

انهم لا بد ان يضحكوا ، لأنهم يشهدون عملية لا يفهمها احد ، عملية مجانين ..

وفي نفس الوقت .. يبادلهم نوح ومن معه القانون من زاويته :

إن تسخروا منا .. فانا نسخرُ منكم ، كما تسخرون !

تماماً .. كما تسخرون ..

وهذا هو علم الأنبياء ، الكلي ، الذين يرون ، ويعلمون ، من

نواميس الله .. ما لا نعلم ..

« فسوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يُخزيه .. ويحلّ عليه عذاب مقيم . » !

فما أتم نوح كلامه ، حتى قهقه القوم عالياً ، وجعلوا يتغامزون ويقهقهون ..

سفينة ..

نوح !.

اذا أردت

أن تتصور سفينة نوح ..

فعليك أن تتفكر معي طويلاً في تلك الأوصاف ، التي وردت عنها .. في كتاب الله العظيم ..

تصور اولاً .. ان الكرة الأرضية كلها صارت بحراً واحداً ، لا يابسة فيه ..

وتصور هذا البحر الهائج .. كيف يكون هياجه .. وكيف تكون أمواجه ؟

« وهي تجري بهم ..

« في موج كالجبال .. » !

موج كالجبال .. رهيب ، يثير الرعب الشديد ..

مسطح الكرة الأرضية كله مغطى بالماء ، وهذا المـــاء يموج

موجاً كالجبـال ..

لا يابسة تضعف من موجه ، بل تثور الموجـــة .. لتتموج كالجبال يركب بعضها بعضاً إلى ما لا يتناهى ..

إذاً مقتضى الحكمة .. أن تكون السفينة المعـدة .. لتجري في تلك الكتل الرهيبة من الموج .. يتحتم أن تكون على الغـاية من متانة الصناعة ، وضخامة البناء ، حتى لا تتعرض للتمزق من قوة ضغط الأمواج عليها !

وهي .. تجري .. بهم .. في موج .. كالجبال ..

فيها إشارة إلى براعة الصناعة ، التي تحقق جريانها ، دون ان تهتز او تميـد او تغرق بهم !

وإذا كان اهل صناعة السفن في عصرنا هـذا .. يصممون عابرات المحيطات تصميماً اقوى واشد من السفن التي تمخر البحـار الصغيرة ..

فكيف يكون تصميم سفينة .. هي مـــا وراء عابرات المحيطات ؟

لقد تحولت الكرة الأرضية بمحيطاتها ، إلى محيط واحـد .. يموج بموج كالجبال ، وتجري فيه سفينة واحدة ، كأنهـا نقطة في

بحر لا نهائي !

وهي تجري ، وحدها .. لم يعد هناك من سفينة ، الا هي .. لقد غرق كل شيء !

وآية أخرى .. تشير الى متـــانة ودقة الصناعة .. وقوة الاحتمال :

« انا لما طغا الماء حملناكم في الجارية .

« لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذنٌ واعية . » !

لمّـا طغا الماءُ .. وغطى سطح الأرض كلها ، وصار الطوفان عامـــاً ..

حملناكم ، لأنكم جميعاً ، من ذرية نوح ، ومن معه من اولاده في السفينة ..

في الجارية .. في السفينة .. التي تجري بهم في موج كالجبال ..

الجارية ! وصفها بأهم مزاياها ، انها تجري سريعـاً في يُسر ، رغم تلاطم الأمواج كالجبـال ..

صناعة ربانيـة ..

« بأعيننا ووحينا » .

ما كان نوح يعلمها ، ولكن الله أعانه ، وعلمه !

لنجعلها لكم تذكرة ، تذكرون بها عجائب قدرتي ..

وتعيها أُذُن واعية .. أذُن تسمع أمرها ، من الوحي الإلهي ، فتدرك أن هذا أمر الهي ، ليس في طاقة بشر !

وآية أخرى ، تسجل المواد الأولية ، التي ُصنعت منها ..

« وحملناه ..

« على ذات الواح ودسر . » !

ذات .. سفينة

ذات الواح ، من الخشب ، بل ربما من الحديد ، وليس هناك ما يمنع من هذا .. فإن الذي صنع المسامير الحديدية ليمسك بها الواح الخشب الضخمة ، ليس هناك ما يمنعه ان يصنع الواحاً من الحديد يدخلها في صناعتها زيادة متانة وشدة قوة ..

ودسر ..

وذات مسامير ، علمناه كيف يصنعها ، ويدقها !

« تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر .

« ولقد تركناها آية فهل من مدكر . » ؟

« تجرى بأعيننا » .. وهناك ، « تجري بهم في موج كالجبال »

ولكنها محفوظة برعايتنا ، وتحت أعيننا !

جزاء لمن كان كفر ! من أجل عبدنا نوح ، فعلنـــا ذلك كلـــه !

ولقد تركناهـــا .. تركنا أخبار تلك السفينة ، على مرّ القرون ..

آية ، عجيبة تنطق بقدرتنا !

فهل من مدكر !. هل هناك من متذكر يتذكر بدائع قدرتنا وعظيم فعلنـا !

ثم ماذا عن ضخامة سفينة نوح ، وضرورة تقسيم أجنحتهـا ، وطوابقها ، تقسيماً هندسياً يحقق التنظيم اللازم ، لكل الكائنات المختلفة ، التي سوف تركب فيهـا ..

سوف يركب فيها نوح ، وأولاده الثلاثة ، وزوجاتهم ، ومن آمن معه ، قيل انهم كانوا اثنين وسبعين ، غيره هو واهله ، اي انهم جميعاً كانوا تسعة وسبعين !

وسوف يركب فيها ، من كل زوجين اثنـين ..

ذكر وأنثى .. اثنين ، من كل الحيوانات الـتي في الأرض ، وكل الزواحف ، وكل الطيـور ، وكل الدبابات التي تعيش على

سطح الكرة الأرضية ..

أي صدر الأمر ، باخذ بذور ، تستنبت منها مرة أخرى .. على وجه الأرض ..

لتبدأ الحياة مرة اخرى من جديد .

بذور ، للجنس البشري ، نوح واولاده ..

« وجعلنا ذريته هم الباقين » .

وبذور ، للنوع الحيواني

وبذور ، لنوع الطيور

وبذور ، لنوع الزواحف والدبابات التي تعيش على اليابسة ..

اما الأسماك والحيوانات البحرية ، فلا داعي لأخذ بذور منها ، لأن ارتفاع الماء لا يغرقها ولا يقضي عليها ، كما يقضى على سكان اليابسة من الكائنات ..

ولو أنك ذهبت تحصي أنواع الكائنات غير الانسان على وجه الأرض من الأحياء .. واخذت من كل نوع ، زوجين اثنين ، أي ذكر وانثى ..

ثم كلفت بشحن هؤلاء جميعاً ، ومعهم ما يلزمهم من الاطعمة

في سفينة واحدة ..

لكان جوابك ، أي سفينة تلك تسع هذه الاعداد كلها ؟

ولكن سفينة نوح وسعت هؤلاء جميعاً ..

وُشحن هؤلاء جميعـاً فيها ..

على تنظيم بديع .. يضمن لهم جميعاً الراحة ، وعدم التنازع ، رغم تنافر طباعهم .. فمنهم الذئب ، ومنهم الحمل ، ومنهم الاسد ، ومنهم الغزال ، وهذا عدوّ ذاك !

كل ذلك .. تجد الإشارة اليه ، في قول معجز غـــاية الإعجـاز :

« فأنجيناه ومن معه ..

« في الفلك المشحون . » !

لفظين اثنين ..

الفُلك ، المشحون ؟

أي إعجاز هو أعلى من ذلك الإعجـاز ؟

فتحتم ان تكون هندسة تلك السفينة ، هندسة بارعة ، تحقق شحن تلك المتناقضات من الكائنات ، التي تعيش على وجه الأرض

بدون تنــازع او فوضى او اضطراب .

لان شحن الحيوانات المفترسة .. في سفينة واحدة ، مع الحيوانات الأليفـة ..

وكذلك شحن الطيور الكواسر .. مع الطيور الاليفة ، كل ذلك يحتاج إلى اماكن مقسمة تقسيماً بديعـاً غاية الإبداع !

قال تعالى :

« حتى اذا جاء أمرُنا ..

« وفار التنور ..

« قلنا احمل فيها ..

« من كلّ ..

« زوجين اثنين ..

« واهلك ..

« الا من سبق عليه القول ..

« ومن آمنَ ..

« وما آمن معه الا قليل . » !

هؤلاء هم .. ركاب السفينة ..

احمل فيها .. من كلّ .. من كل الاحياء ، من كل ذي حياة ،

من حيوان ، او طائر ، او شيء يدب على الارض ..

زوجين اثنين ، ذكر وانثى ، ليتحقق التوالد والتناسل ، لجميع تلك الاحياء !

لانه لو اخذ ذكرين اثنين ، او انثيين اثنين ، لم يتحقق التناسل والتوالد ..

وأهلك ، واولادك الثلاثة ، وزوجاتهم الثلاث ..

إلا من سبق عليه القول ، من اهلك .. وهو ابنه كنعان ، وزوجه الكافرة ، ولم يكن نوح يتصور ذلك ..

ومن آمنَ .. معك .. وهم أتباعك .. قيل كانوا ستة .. وقيل اربعين .. وقيل اثنين وسبعين .. غير أهله .. وكل اولئك قليل !

وقال تعالى :

فأوحينا اليه ..

« ان اصنع الفلك ..

« بأعيننا ووحينا ..

« فاذا جاء امرنا ..

« وفار التنور ..

« فاسلك فيها ..

« من كل زوجين اثنين ..

« واهلك

« الا من سبق عليه القول منهم » !

فاسلك فيها .. فادخل ، في السفينة .. من كلٍّ .. من هـذه الكائنات جميعاً .. زوجين اثنين .. ذكراً وأنثى .. بحيث يكون منهما زوجان يتوالد منهما نوعهما من جديد !

هذا شيء ، مما ورد في الكتاب ، الذي ليس كمثله كتاب ، القرآن العظيم عن سفينـة نوح ..

فهل عند أهـل الكتاب .. شيء عن اوصافها ؟

قالوا :

« هذه مواليد نوح .

« كان نوح رجلاً باراً كاملا في أجياله .

« وسار نوح مع الله .

« وولد نوح ثلاثة بنين ساما وحاما ويافث .

« وفسدت الارض امام الله وامتلأت الآرض ظلماً .

« ورأى الله الأرض فهي قد فسدت .

« إذ كان كل بشر قد افسد طريقه على الارض .

« فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد اتت أمامي .

« لان الارض امتلأت ظلماً منهم .

« فها انا مهلكهم مع الارض .

« اصنع لنفسك فُلكاً من خشب جُفر .

« تجعل الفلك مساكن .

« وتطليه من داخل ومن خارج بالقار

« وهكذا تصنعه .

« ثلاث مئة ذراع يكون طول الفُلك وخمسين ذراعاً عرضه وثلاثين ذراعاً ارتفاعه .

« وتصنع كواً للفُلك وتكمله إلى حد ذراع من فوق .

« وتضع باب الفُلك في جانبه

« مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله

« فها انا آت بطوفان الماء على الارض لاهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء

« كل ما في الارض يموت

« ولكن اقيم عهدي معك

« فتدخل الفلك انت وبنوك وإمرأتك ونساء بنيك معك

« ومن كل حي من كل ذي جسد اثنين من كل تُدخل إلى الفلك لاستبقائها معك .

« تكون ذكرا وأنثى

« من الطيور كاجناسها ومن البهـــائم كأجناسها ومن كل دبابات الارض كأجناسها

« اثنين من كل تُدخل اليك لاستبقائها .

« وأنت فخذ لنفسك من كل طعام يُؤكل واجمعه عندك

« فيكون لك ولها طعاماً

« ففعل نوح حسب كل ما امره به الله

« هكذا فعل . »

وقالوا :

« وقال الرب لنوح ادخل انت وجميع بيتك إلى الفلك

« لاني إياك رأيت بارا لدي في هذا الجيل

« من جميع البهائم الطـــاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكرا وانثى .

« ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكراً وانثى .

« ومن طيور السماء ايضاً سبعة سبعة ذكراً وانثى .

« لاستبقاء نسل على وجه كل الارض .

« لاني بعد سبعة ايام أيضاً أمطر على الارض اربعين يومـــاً واربعين ليلة .

« وامحو عن وجه الارض كل قائم عملتُه .

« ففعل نوح حسب كل ما أمره به الرب . » !

هذا شيء ممـــا ورد عند أهل الكتاب عن أوصاف سفينة نوح ..

٣٠٠ ذراع الطول

٥٠ ذراعاً العرض

٣٠ ذراعاً الارتفاع

إذاً هو فُلك ضخم .. يعادل أضخم عابرة محيطـــات الآن !

مساكن سفلية .. ومتوسطة .. وعلوية .. تجعله ؟

إذاً هو ثلاثة أدوار .. طابق أعلى .. وطـابق اوسط .. وطابق أسفل !

وقد ورد عند بعض اهل التفسير ما يؤيد ذلك ..

قال الامام التجواني في تفسيره :

« و » احمل ايضاً فيها جميع ..

« مَن آمن » لك من قومك ..

« و » الحال انه ..

« ما آمن معه » من قومه

« إلا قليل » قيل .. كانوا تسعة وسبعين .. زوجته المسلمة .. وبنوه الثلاثة .. سام وحام ويافث .. ونسائهم .. واثنان وسبعون رجلا من غيرهم .. والكل مع نوح عليه السلام ..

« روي أنه عليه السلام .. قد اتم السفينة ، وكان طولها ثلثمائة ذراع ، وعرضها خمسين ، وسمكها ثلاثين ، وجعل لها ثلاثة بطون .. فحمل في اسفلها الدواب والوحوش ، وفي اوسطها الانس ، وفي اعلاها الطير . » ا

ونستخلص من كل ذلك ..

أن سفينة نوح .. كانت سفينة ضخمة .. متينة .. محكمة .. متقنة .. تلاطم اقوى الأمواج .. وتحمل فوقها بذور الحياة القادمة كلها ..

إنساً .. وطيراً .. ووحشاً .. وبهـــائم .. وزواحف .

« إنا لما طغا الماء ..

« حملناكم في الجارية .. » !

ففتحنا

أبواب السماء

بماء منهمر ..

الطوفان ؟

كيف كان ؟

وما علامته ؟

وكم لبث ؟

قال تعالى :

« حتى إذا جاء أمرُنا ..

« وفارَ التنورُ ..

« قُلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين .. » !

إذاً علامته ان يفور التنّور ..

فما هو هذا التنّور ؟

قيل .. هو الفرن .. وعلامته أن يفور منه الماء .. وقيل

ان زوجة نوح هي اول من رأته يفور !

فاسرعت تخبر زوجها بما رأت !

وقيل .. وهو ما أميل اليه .. هو سطح الأرض ..

اي إذا فار سطح الأرض بالماء ..

إذا انفجرت الارض عيوناً .. يفور منها الماء ..

اي إذا رأيتم بداية انفجار الماء من الارض .. فاسرعوا إلى دخول السفينة ..

قال تعالى :

« .. فاذا جاء أمرُنا ..

« وفار التنور !

« فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك إلا من سبق عليه القول منهم ! »

فاسلك .. فادخل .. فاسرعوا .. وادخلوا السفينة ..

قبل ان يتعاظم الماء ، ويحول بينكم وبينها ..

وقال :

« فأخذهم الطوفان وهم ظالمون !

« فانجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين » !

وعلامة بدء هذا الطوفان .. ان يفور التنّور !

ومن باب الاشارة .. في قوله :

« **وفار التنور** » !

وفار سطح الكرة الأرضية بالماء .. وحقيقة الكرة الارضية انها تنّور .. ُفرن يغلي باطنه باللهب والحرارة المرتفعة رغم برودة سطحها .. تماماً كالتنّور ، باطنه نار وظاهره طين بارد !

وعلى هذا تفض هذه الاشارة الخلاف بين القائلين بأن التنور هو الفرن .. والقائلين بأنه هو سطح الارض !

هذا عن علامة بدء الطوفان .. فكيف كان ؟

قال تعالى :

« **ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر**

« **وفجرنا الارض ُعيوناً ..**

« **فالتقى الماء على أمر قد ُقدرَ** » !

« ففتحنا » بعدما اردنا هلاكهم وانتقامهم ..

« أبواب السماء بماء منهمر » منصب .. كأنه يجري من جانب السماء .. على وجه الجري والتوالي بلا تقاطر ..

« و » كذا ..

« فجرنا الارض عيوناً » اي قد فجرنا عيون الارض ، وصيرناها كأنها عيون كلها ، بل عين واحدة ..

« فالتقى الماء » الحاصل من كلا الجانبين وبلغا ..

« على امر » شأن واحـد ..

« قد ُقدِر » اي قدره الحق في حضرة علمه ، ولوح قضائه ، لاهلاك اولئك الطغاة البغاة وإغراقهم .. » !

ما هذا ؟

هذا شيء من اقوال المفسرين ..

الا أن الامر اعظم من ذلك بكثير ..

الامر .. مظهر ُقدرة !

الامر .. كما قال صاحب الامر

« على امر قد ُقدر » !

يتحتم هنا ان نتصور ما يلي :

« حتى إذا جاء أمرُنا ، وفار التنور ! »

جاء امرُنا .. جاءت اللحظة التي يقع فيها امرُنا ..

وفار التنور .. فار سطح الارض كله بالماء .. لمـاذا حدث هـــذا ؟

« وفجرنا الارض عيوناً »

فجأة تفجرت كل الكرة الارضية ، عيونـــاً ، تتدفق .. وتفور بالمـاء .

لمـــاذا ؟

هناك امر صادر اليها

« جاء امرنا » !

وحتماً تتفجر الارض عيوناً ، تنفيذاً لامر ربها !

ثم ماذا ؟

« ففتحنا ابواب السماء !

« بماء منهمر » !

أمطار تنهمر كالانهار

تتدفق بلا توقف ، لماذا ؟

هناك امر صادر اليها ، لا تستطيـع .. الا ان تطيع !

فالمشهد الجليل الجميل .. كان هكذا ..

السماء تنهمر بالماء ، ليلاً ونهاراً ، بلا انقطاع ..

الارض تتفجر بالماء .. ليلاً ونهاراً ، بلا انقطاع ..

المطلوب .. اختفاء الارض كلها ، تحت الماء ..

ليهلك ، كل َمن على اليابسة ..

المطلوب ان تتحول الكرة الارضية ، الى كرة تسبح داخل اطار من الماء ..

لا حياة اليوم .. على وجه الارض ..

سنعيد البشرية .. بعد اهلاكها ، من هذه البذور التي في السفينة ..

اما سائر الاحياء .. فعليهم الطوفان !

مشهد .. الهي ..

مظهر .. ُقدرة ..

« وجعلناها اية للعالمين » !

آية ؟.

آية جبارة ، فيها جبروت الجبار ..

آية هدّارة ، فيها هدير الماء .. ينهمر من السماء ..

اية فوّارة .. فيها فوران الارض وهي تفور !

مشهد سرمدي .. لا تتناهى عجـائبه !

فماذا عن مدة لبث انهمار الماء من السماء .. وانفجار المـاء من الارض ؟

كم لبث هذا المشهد !

« فالتقى الماء على امر قد ُقدر » ؟!

فالتقى ماء السماء .. وماء الارض .. على امر .. قد ُقـدر .. تقدير محدد ، لا يزيد عنه الماء قطرة واحدة ..

وعندما بلغ ارتفاع الماء فوق سطح الارض ، الارتفاع المقدر المحدد ..

وتم اغراق .. كل شيء حي .. على وجه الأرض ..

صدر الأمر ..

أعجب امر ؟

« وقيل يا ارض ابلعي ماءك

« ويا سماء اقلعي » !

الله .. يامر الأرض .. يا أرضُ .. إبلعي .. ماءك ؟

وسمعت الأرض نداء ربها ، وأطاعت ، وجعلت تبلع ماءها .. الذي فوق سطحهـا !

الله .. يأمر السماء .. يا سماءُ .. أقلعي .. عن الإمطـــار .. أغلقي أبوابك .. فلا تسقطي قطرة ماء !

ما هذا ؟ هذه مشاهد القدرة .. وهؤلاء عبـاده .. الأرض .. السماء ، كلٌّ له قانتون !

وبدأت الأرض تبلع ماءها ، شيئاً فشيئاً ..

واقلعت السماء .. عن الماء .

وكانت النتيجة ..

« وغيض الماء » !

ونقص الماء .. تدريجياً .. شيئاً فشيئاً .. حتى يبست الأرض .. وعادت كما كانت ..

« وقضي الامر »

الموعود .. الذي هو إهلاك الكفار .. وانجاء المؤمنين ..

وتم تنفيذ أمرنا .. كما قدرناه ..

« على امر قد قُدر » !

فماذا عند اهل الكتاب ؟

قـــالوا :

« ولما كان نوح ابن ست مئة سنة صار طوفـــان الماء على الأرض .

« فدخل نوح وبنوه وامراته ونساء بنيه معه إلى الفُلك من وجه مياه الطوفان .

« ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة ومن الطيور وكل ما يدب على الارض دخل اثنان اثنـــان إلى نوح إلى الفلك ذكراً وانثى .

« كما امر الله نوحاً .

* * *

« وحدث بعد السبعة الايام ان مياه الطوفان صارت عـــلى الارض .

« في سنة ست مئة من حيـــاة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء .

« وكان المطر على الارض اربعين يوماً واربعين ليلة .

« في ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافث بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معهم إلى الفلك .

« هم وكل الوحوش كأجناسها وكل البهائم كأجناسها وكل الدبابات التي تدب على الارض كأجناسها وكل الطيور كأجناسها كل عصفور كل ذي جناح .

« ودخلت إلى نوح إلى الفلك اثنين اثنين من كل جسد فيه روح حياة .

« والداخلات دخلت ذكراً وانثى من كل ذي جسد كما أمره الله .

« واغلق الرب عليه »

* * *

« وكان الطوفان أربعين يوماً على الارض .

« وتكاثرت المياه ورفعت الفلك .

« فارتفع عن الارض .

« وتعاظمت المياه وتكاثرت جداً على الارض .

« فكان الفلك يسير على وجه المياه .

« وتعاظمت المياه كثيراً جداً على الارض .

« فتغطت جميع الجبال الشاهقة التي تحت كل السماء .

« خمس عشرة ذراعاً في الارتفاع تعاظمت المياه .

« فتغطت الجبال .

« فمات كل ذي جسد كان يدب على الارض .

« من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التي كانت تزحف على الارض وجميع الناس .

« كل ما في انفه نسمة روح حياة من كل ما في اليابسة مات .

« فمحا الله كل قائم كان على وجه الارض .

« الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء .

« فانمحت من الارض .

« وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط .

« وتعاظمت المياه على الارض مئة وخمسين يوماً . »

* * *

« ثم ذكر الله نوحاً وكل الوحوش وكل البهائم التي معه في الفلك .

« واجاز الله ريحاً على الارض فهدأت المياه .

« وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء .

« فامتنع المطر من السماء .

« ورجعت المياه عن الارض رجوعاً متوالياً ·

« وبعد مئة وخمسين يوماً نقصت المياه ·

« واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال اراراط ·

« وكانت المياه تنقص نقصاً متوالياً الى الشهر العاشر ·

« وفي العاشر في اول الشهر ظهرت رؤوس الجبال · » !

المعجزة ..

العجيبة ؟

اجمعت الكتب السماوية ..

على غير خلاف بينها ..

أن نوحاً حمل معه ، في السفينة ، من كل جنس حي فوق الأرض .. زوجين .. ذكراً وأنثى ، من الطيور ، من البهائم .. من الوحوش .. من الزواحف ..

والحكمة من ذلك .. هو استبقاء هذه الأجناس ، مرة اخرى لاعادة الحياة بعد الطوفان على الارض ..

وها هنا اكثر من معجزة ..

اولاً .. كيف جمع نوح ، ذكراً وانثى ، من كل كائن حي فوق الكرة الارضية ..

ومعلوم ان نوحاً لم يغادر بلاده ..

وحتى إن غادرها لا يستطيع أن يجوب جميع أنحاء الكرة

الارضية ليجمع زوجين من كل جنس من الحيوان والطـــير والزواحف ، لانتشارها في اماكن متباعدة من الكرة الارضية ؟!!

هناك استحالة .. ان يستطيع نوح شيئاً من ذلك ..

فكيف ُجمع له هذا الحشد من الكائنات الحية ؟

لا جواب الا ان نقول .. إن الله هو الذي جمع له هـــذه الكائنات كلها من شتى بقاع الارض .. وجاءه بها كلها ..

ولا يقدر على ذلك إلا الله ..

هذه معجزة عجيبة ، يجب أن نتفكر فيها كثيراً ..

« لنجعلها لكم تذكرة ..

« وتعيها أذن واعية ً . » !

يجب ان تعي البشرية هذا الامر العجيب ..

فـــإن جمع زوجين .. ذكراً وانثى من كل الوحوش بأجناسهـــا ..

ومن كل الحيوانات باجناسها ..

ومن كل الطيور باجناسها ..

ومن كل الزواحف بأجناسها ..

ومن كل ما يدب على الارض بأجناسها ..

إن جمع هذا كله ، يقتضي عقلا احصى كل شيء عدداً ..

حتى لا يفلت منه صنف او اكثر من تلك الأجناس ، فيؤدي ذلك إلى انقراض جنس بأكمله من الارض ..

ومعلوم ان تصميم الحيـــاة في الارض .. موضوع بتخطيط دقيق متوازن .. كل جنس من هذه الاجنـــاس يتحتم بقاؤه ليتحقق التوازن العام في الحياة فوق الارض !

هذه معجزة عجيبة .. تمت بالقدرة الإلهية ، ولكن النـاس لا يلتفتون اليها !

فإذا انتهينا من معجزة جمع الازواج .. من جميـع الاحيـــاء بأجناسها التي فوق الارض

تأتي معجزة أخرى .. كيف نُقلت هذه الأعداد من الكائنات الى نوح ؟

يتحتم هنا كذلك ان نقول .. نقلها الله بقدرته ..

جمعها .. بكُن فيكون .. فاجتمعت ..

ونقلها .. بكُن فيكون .. فانتقلت ..

ثم تواجهنا بعد ذلك معجزة اكبر ..

كيف تطاوعت هذه الكائنات لنوح .. فيقول لها :
ادخلي الفُلك .. فتدخل !

ومنها ما لا يأتمر بـأمر الانسان ..

بل يهاجم الإنسان إذا امره بامر ..

كالاسود والنمور والكواسر من الوحوش !

يتحتم هنا كذلك .. ان نقول .. إن الله امرها ان تطيع نوحاً فاطاعته ، كما يأمرها !

ثم تواجهنا معجزة اكبر

كيف ائتلفت هذه الكائنات المتضادة مع بعضها البعض ، اثناء المدة التي عاشتها في الفلك في مكان واحد !

فلو جمعت الوحوش مع الاغنـــــام .. لاكلت الوحوش الاغنـــــام ..

ولو جمعت الغزلان مع الذئـاب .. لاكلت الذئــــاب الغزلان ..

حتى مختلف الوحوش ، اذا اجتمعوا .. اقتتلوا ..

فكيف حدث التوافق والسلام .. بين هـــذه المتضادات في

الفلك !.

يتحتم هنا كذلك .. ان نقول .. إن الله امرها ان تـأتلف .. فأتلفت مؤقتـاً ..

حتى إذا أُنزلوا من الفلك .. وانتشروا مرة اخرى في انحاء الارض .. رُدَّت اليهم نواميسهم التي كانوا عليها !

هذه معجزات عجيبة

مكنونة في طيّات قوله تعالى :

« فاسلك فيها ..

« من كل ..

« زوجين اثنين .. » !

نحن نمر على مثل هذا القول مرّاً خفيفاً .. ولا نكلف انفسنا أن نفكر : كيف يمكن هذا لنوح .. ولا احد يستطيع هذا من البشر !

ولو قد فكرنا .. لانفجرنا دهشة وإعجاباً بالقدره الالهية ..

ولحققنا شيئاً من قوله سبحانـه :

« وتعيها اذنٌ واعيةٌ » !

شيء واحد الفتكم اليه :

مَن يستطيع ان يجمع ذكراً وانثى من كل الكائنات الحيـة فوق سطح الارض !

ذكراً وانثى .. كيف تُفرق بين الذكر والانثى وتميز بينهما ، وان استطعت ذلك ، فمن يأتيك بما تريد من هذه الاجناس كلها !

هذه بعض معجزات نوح ..

وإن كانت المعجزة الكبرى .. تطغى عليها ..

معجزة .. الطوفان !

بل اكاد اجزم ها هنا .. ان الله هو الذي جمع بقدرته من كل زوجين اثنين

لسبب واحد ..

ان المطلوب ذكر وانثى ، من كـل جنس ..

اي احسن ذكر وانثى من كل جنس ..

اي احسن سلالة ..

لانه من هذا الزوج .. من هذا الذكر والانثى .. ستكون كل سلالة هذا الجنس ..

ولا احد من البشر .. يستطيع اصطفاء احسن زوج من جنس من

الاجناس .

لان ذلك يستلزم احاطة شاملة بمزايا الجنس كله ، لانتقاء احسن زوج منها .. وهذا مستحيل ..

فتحتم ان نقول .. الله اصطفى .. اختار من كلٍّ .. زوجين اثنين ..

لانه هو الذي يعلم .. احسن الانواع .. من كل جنس !

فسبحان .. مَن جمع .. مِن كلٍّ .. زوجين اثنين !

بسم الله ..

مجراها

ومرساها !

« حتى إذا جاء أمرُنا ..

« وفارَ التنورُ .. » !

وجاءت اللحظة المحددة للطوفان ..

وفار التنور .. فار الفرن في بيت نوح بالمـاء ..

نتيجة لثوران الأرض كلها بالماء ..

وكان اول من رأى التنور يفور بالماء ، إمرأة نوح !

فهرعت إلى زوجها تخبره ، بالمفاجأة التي لا تعلم لها سبباً !

هنالك .. هرع نوح إلى تنفيذ الخطة الالهية ..

« أحمل فيها من كل ..

« زوجين اثنين ..

« واهلك إلا من سبق عليه القولُ منهم ..

« ومَن آمن .. » !

ونادى نوح ، في أهله .. وفي منْ آمن معـه ..

تجمعوا سراعاً .. عند السفينة .. فقد جاء أمر الله ..

فذهبوا اليها يُهرعون ..

حام .. وسام .. ويافث .. أولاده .

وزوجاتهم الثلاث

والقليل الذين آمنوا معه ..

أسرعوا جميعاً إلى السفينة ، وقـد أخذهم الشوق إلى النجاة من الغرق ..

وتبعهم رسول الله .. نوح ولحقهم عند السفينـة ..

ففوجئوا أجمعين بآية من آيات الله .. الكبرى .. تقف صفوفاً منتظمة ، في انتظار أوامر نوح !

كانت الآية ..

على مرمى البصر ، في الخلاء الواسع ..

وقفت جميـع الأحياء .. صفاً صفاً !

الحيوانات المفترسة باجناسها .. قد إنتظمت في طابور واحد زوجين .. زوجين ..

هكذا .. مثلاً ..

الأسد .. وعن شماله انثاه ..

ومن ورائه النمر .. وعن شماله الانثى ..

ومن ورائه الفهد .. وعن شماله الأنثى ..

وهكذا صف طويل ، انتظمت فيه الوحوش كلها الموجودة في الكرة الارضية .. ممثلة بذكر وانثى ، من كل جنس !

إلا ان مـــا هو أعجب ، ان يقف إلى جوارهم صف من الحيوانات الاليفة ، في طمأنينة وسكينة وسلام ..

هكذا يبدأ الصف مثلاً :

الجمل .. وعن شماله الناقة ، زوجه ..

الجاموس .. وعن شماله الجاموسة ..

العجل أو الثور .. وعن شماله البقرة ..

الكبش .. وعن شماله النعجة ..

الغزال :. وعن شماله الانثى ..

وهكـذا .. إلى مرمى البصر .. إلى آخر الصف .. إلى آخر الحيوانات المستأنسة ؟

ثم ما هو أعجب ؟

صف ثالث ، وقد انتظمت فيه كواسر الطيور ، بكل اجناسها ، ذكراً وانثى .

وصف رابع . وقد انتظمت فيه اليف الطيور بكل أجناسها من كل ذكر وانثى ..

وصف خامس ، وقد انتظمت فيه الزواحف بكل أجناسها ، اثنين اثنين .. ذكر وانثى ؟

وهكذا . مشهد عجيب ؟

الكل اجتمع من أنحاء الأرض ، وعلى تباعد المسافات ، واختلاف الطباع والاجنـاس ..

وقفوا جميعـــاً ، ينتظرون مطلع سيدهم .. رسول الله .. نوح .. عليـه السلام ..

ووقف رسول الله ، يشهد قدرة الله ، مـا كان يستطيـع أن يجمع هؤلاء في هذا الوقت المحدد ، وما كان يستطيـع لهم أمراً ..

ونادى فيهم جميعاً ..

« **وقال ..**

« **اركبوا فيها ..**

« **بسم الله ..**

« **مجراها ..**

« ومُرسَاها ..

« إن ربي لغفورٌ رحيمٌ . » !

فركبوا .. جميعاً فيها ..

في انتظام ، ونظام ، وهدوء وسلام ؟

لا يبغي أحد على احـد ..

فانتظمت الطيور بأجناسها ، في الطابق العلوي .

وانتظم الانس في الطـــابق الأوسط ..

وانتظمت الحيوانات في الطابق السفلي ..

وكان نوح يشرف على العملية بنفسه ..

« ودخلت إلى نوح إلى الفُلك .. اثنين اثنين .. من كل جسد فيه روح حياة .

« والداخلات دخلت .. ذكراً وأنثى .. من كل ذي جسد كما أمره الله .

« واغلق الرب عليه . » !

وهي تجري

بهم في موج

كالجبال

قال تعـــالى :

« وهي تجري بهم في موج كالجبال .. » !

أغلق نوح باب السفينة ..

وانتظر الجميع ماذا يحدث بعد هذا ؟

فما زالت السفينة تقف على الارض .. ولم تتحرك بعد ..

ثم ارتفعت المياه .. فرفعت السفينـــة عن الأرض .. فكبّر نوح .. ومَن معه ..

ثم تعاظمت المياه .. فجرَت السفينة على وجه الماء !

ثم تلاطمت الأمواج من حولها كالجبال .. وحملتها .. الى حيث يشاء الله مجراها .. ومُرساها ..

كان منظراً .. من المناظر الإلهيـة ..

سفينة ضخمة .. تجري بهم في موج كالجبال ..

تجري .. وحدها ..

وقد صارت الكرة الارضية كلها بحراً واحداً .. لا يابسة فيه .. حتى الجبال الشامخة غرقت هي الاخرى ..

واختفى كل شيء على الارض .. تحت الماء ..

واختفت الحياة .. والاحياء ..

إلا هؤلاء

« إنا لما طغا الماء ..

« حملناكم في الجارية .. » !

وتأمل هنا قوله : « وهي تجري بهم في موج كالجبال » ..

وقوله : « في الجارية » ؟

وقوله : « تجري بأعيُننا .. »

وجعل نوح .. يشهد وقوع ما وعده الله ..

وجعل الذين معه يشهدون ..

لقد غرق أعداؤه جميعاً .. عن آخرهم .. حتى زوجته الكافرة ..

ونجت معه زوجته المؤمنة ..

وفي مثل تلك اللحظات الفاصلة بين الحق والباطل ، تهدر في صدور المؤمنين مشاعر الشكر لله .. أن صدقهم وعده وأنجاهم من الكرب العظيم ..

فقال نوح ..

« الحمدُ لله الذي نجانا من القوم الظالمين . » !

فلما سمعه الذي معه .. قالوا :

« الحمدُ لله الذي نجانا من القوم الظالمين . » !

قال تعالى :

« .. ولا تُخاطبني في الذين ظلموا إنهم مُغرقون .

« فاذا استويت أنت ومن مَعك على الفُلك .

« فقل الحمدُ لله الذي نجانا منَ القومِ الظالمينَ . » !

وهذا الذي امره الله ..

هو ما فعله نوح .. وتبعه فيه مَن معه ..

وجعل نوح ينظر حوله ، لا شيء إلا المـــاء .. وإلا الموج

كالجبال ..

والسماء تنهمر ليلاً ونهاراً ..

والأرض تتفجر بالماء عيوناً .. ليلاً ونهاراً ..

فتذكر امر ربه اليه :

« وقُل رب انزلني منزلا مُباركاً وانت خيرُ المنزلين . » !

فقال رسول الله .. نوح عليه السلام :

« رب . انزلني منزلا مباركاً ..

« وأنت . خيرُ المنزلين » !

فإذا رأيت .. ثم رأيت .. مشهداً عجبـــاً ..

الحياة كلها .. بما فيها .. ومَن فيها .. قد انتهت واختفت تحت ماء واحد ..

وسفينة واحدة .. وحيدة .. تجري .. ليلاً ونهاراً .. في امواج كالجبال ..

وسماء تمطر مطراً شديدا جداً لا ينقطع لحظة ..

وا ض تتفجر بالماء بلا انقطاع ..

والماء يرتفع ويرتفع إلى ما شاء الله ..

« فالتقى الماء على امر قد قُدرَ » !

لقد عاد كل شيء إلى اصله ..

ومعلوم أن كل شيء حيّ اصله الماء ..

« وجعلنا من الماء كل شيء حي » ..

إذاً إذا افنينا كل شيء حي .. عاد ماء كما كان ..

وتلك هي الاشارة الفذّة من ذلك المشهد الفذّ ..

لقد رُدَّ كل شيء إلى اصله .. إلى الماء ..

وإشارة اخرى اعجب واعجب ..

كان مشهد هذه السفينة الواحدة .. فوق الماء الواحد .. يقول لنا : تكذبون ربكم إذا قال لكم سنعيدكم بعد موتكم مرة أخرى .. هلمّ فاشهدوا .. ها قد أهلكتم جميعاً . ومن هذه السفينة .. سنعيدكم تارة أخرى ..

« وجعلنا ذريته همُ الباقين » .

فماذا تقولون ؟

ولعله إلى مثل هذه الإشارات يشير قوله تعالى بعد ذكر قصة نوح :

« **إن في ذلك لآيات ..** » !

آيات كثيرة .. ولكن الإنسان ينسى دائماً !

فماذا عند أهل الكتاب ؟

قالوا :

« **وكان الطوفان أربعين يوماً على الارض .**

« **وتكاثرت المياه ورفعت الفلك .**

« **فارتفع عن الارض .**

« **وتعاظمت المياه وتكاثرت جداً على الارض .**

« **فكان الفلك يسير على وجه المياه .**

« **وتعاظمت المياه كثيراً جداً على الارض .**

« **فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء ..**

« **فتغطت الجبال .**

« **فمات كل ذي جسد كان يدب على الارض .**

« **من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التي كانت تزحف على الارض وجميع الناس .**

« **كل ما في أنفه نسمة روح حياة من كل ما في اليابسة مات .**

« فمحا الله كل قائم كان على وجه الارض .

« الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء .

« فانمحت من الارض .

« وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط .

« وتعاظمت المياه على الارض مئة وخمسين يوماً . » !

يا بني

اركب

معنا !.

كانت مياه الطوفان :

ترتفع شيئاً بعد شيء ..

فلما ارتفعت شيئاً ما .. رفعت الفلك عن الأرض ..

فلما تعاظمت أكثر .. حملته وجرت به في الماء ..

وكان كل الناس .. ومنهم أعداء نوح .. يهربون من وجه الماء إلى الجبال .. لعلها تنجيهم من الغرق ..

فإذا ارتفع الماء اكثر .. هربوا إلى قمم أعلى ..

وهكذا ..

في تلك المرحلة .. شاهد نوح وهو في السفينة .. ابنـــه .. كنعـان .. يحاول الهرب في الجبال .. مع الهاربين ، من وجه الطوفان ..

فناداه .. فلم يلتفت اليــه ..

فجعل يناديه .. في شفقـة الوالد على ولده :

« .. ونادى نوحٌ ابنه ..

« وكان في معزل ..

« يا ُبني اركب معنا ..

« ولا تكن مع الكافرين . » !

يا ُبني اركب معنا ؟

اصعد إلى السفينـة .

ولا تكن مع الكافرين .. ابتعـــد عنهم .. فتهلك إذا هلكوا ..

ولكن المسمى كنعان أخذته العزة بالإثم .. ونفخ واستكبر وقال لأبيه :

« قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء .. » !

سافرّ .. إلى جبل شامخ .. يمنعني من الماء .. فلا يصل إليَّ البتـــة !

« قال لا عاصم اليومَ من امر الله ..

« إلا من رحم .. » !

لا مانع .. ولا حاجز .. اليوم من أمر الله ..

إلا مَن رحم ، وشاء نجاته !

وجعل الماء يقترب من ابنه .. وهو يحاول المستحيل الهرب منه ..

« ونادى نوحٌ ربهُ ..

« فقال رب إن ابني من اهلي ..

« وإن وعدك الحق ..

« وأنت احكمُ الحاكمين .. » !

يعني نوح بوعده تعالى :

« واهلك » ..

أي أحمل فيه أهلك .. وابني من أهلي ، فهو يطلب نجاته كما وعده الله ؟

« قال يا نوحُ ..

« إنه ليس من اهلك ..

« إنه عمل غير صالح ..

« **فلا تسألني ما ليس لك به علم ..**

« **إني أعظك ان تكون من الجاهلين . » !**

وتلقاها .. نوح ، فزلزلت بنيانه ..

وعلم هنالك .. إن ابنه هذا ليس من أهله .. لأنه كافر ..

وأن شفاعته في ابنه لا تغني عنه شيئاً .. لأنه كافر ..

فبادر نوح إلى الاعتذار إلى ربه :

« **قال رب إني اعوذُ بك ان اسألك ما ليس لي به علم ..**

« **وإلا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين . » !**

وفجأة .. حدث ما لم يخطر على قلب نوح :

« **وحال بينهما الموجُ ..**

« **فكان من المُغرقين . » !**

هبت أمواج كالجبال .. فابتلعت كنعان .. وكل ما حوله !

واختفى ابنه إلى الأبد !

وحال بينهما ، الموج ؟

فيها إشارة جبّارة ، ان الذي حال بينهما ، بين نوح وابنه ..

هو اختلاف الموج ..

نوح .. موجٌ نوراني

وابنه .. موج ظلماني ..

فاللقاء بينهما مستحيل ..

هـذا ، ضد ، ذاك !

هناك عزل تام بين الموجتين ..

« وكان في معزل » !

سبحان ، مَن أنزلَ ، هـذا !

يا أرض

ابلعي

ويا سماء

اقلعي ..

قال تعـــالى

« وقيل يا ارض ابلعي ماءك ..

« ويا سماء اقلعي ..

« وغيض الماء ..

« وقُضي الامرُ ..

« واستوت على الجودي ..

« وقيل بُعداً للقوم الظالمين .. » !

« وقيل » من وراء سرادقات العز والجلال ، منادياً آمراً على الأرض والسماء ..

« يا أرض » النابعة للماء المخرجة له ..

« إبلعي ماءكِ » أي انشفي ، واقبضي مـا نبـع عنك من المـــاء ..

« ويا سماء » الماطرة الهامرة ..

« أقلعي » وامسكي ماءك ولا تمطري ..

« وغيض الماء » ونقص ، من نشف الارض ، واقلعت السماء ..

« وقضي الامر » الموعود الذي هو اهلاك الكفار وانجـــاء المؤمنين ..

« واستوت » السفينة واستقرت ..

« على الجوديّ » هو جبل بالموصل ..

روي انه عليه السلام ، قد ركب على السفينة عاشر رجب ، ونزل عنها عاشر المحرم .. فصام ذلك اليوم ، فصار صومه سنة سنية منه على من بعده ، وهو صوم يوم عاشوراء .

« وقيل » من قبل الحق ..

« بُعد » اي قد بعد بعداً ، وطرد طرداً .. مقتاً وهلاكاً ..

« للقوم الظالمين » الخارجين عن مقتضى الوحي الالهي المكذبين لرسله .. إبعاداً لهم عن ساحة عز الحضور ، بحيث لا يرجي قربهم وقبولهم اصلاً . »

فماذا عند أهل الكتاب ؟

« ثم ذكر الله نوحـــاً وكل الوحوش وكل البهائم التي معه في الفلك .

« واجاز الله ريحاً على الارض فهدأت المياه .

« وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء .

« فامتنع المطر من السماء .

« ورجعت المياه عن الارض رجوعاً متوالياً .

« وبعد مئة وخمسين يوماً نقصت المياه .

« واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراراط .

« وكانت المياه تنقص نقصاً متوالياً الى الشهر العاشر .

« وفي العاشر في اول الشهر ظهرت رؤوس الجبال .. » !

شيء جميل حقـاً ..

يكاد هذا يكون تفسيراً للآية القرآنية الكريمة !

وصدق الله ...

« وإنه لفي زُبُر الاولين . » !

لفي ، كتب الاولين !

يا نوح ..

اهبط

بسلام ..

قال عز ثناؤه

« قيل يا نوح ..

« اهبط بسلام منا ..

« وبركات عليك ..

« وعلى امم ممن معك ..

« وامم سنمتعهم

« ثم يمسهم منا عذاب اليم .

« تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة المتقين . » !

يا نوحُ .. اهبط ؟

إذن بالنزول من الفلك ، إلى الارض ..

إذْن ببدء الحياة .. الجديدة !

فماذا عند اهل الكتاب ؟

قـــالوا :

« وحدث من بعد اربعين يوماً أن نوحاً فتح طاقة الفلك التي كان قد عملها وأرسل الغراب .

« فخرج متردداً حتى نشفت الميـاه عن الارض .

« ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلّت المياه عن وجـه الارض .

« فلم تجد الحمامة مقرّاً لرجلها .

« فرجعت اليه الى الفلك .

« فلبث ايضاً سبعة أيام أخر وعاد فأرسل الحمامة من الفلك .

« فاتت اليه الحمامة عند المساء وإذا ورقـــة زيتون خضراء في فمهـا .

فعلم نوح آن المياه قد قلّت عن الارض .

« فلبث ايضاً سبعة ايام اخر وارسل الحمـامة فلم تعد ترجـع اليه أيضاً .

« وكان في السنة الواحدة والست مئة في الشهر الاول في أول الشهر ان الميـاه نشفت عن الارض .

« فكشف نوح الغطاء عن الفلك ونظر فإذا وجه الارض قد نشف .

« وفي الشهر الثاني في اليوم السابع والعشرين من الشهر جفت الارض .

وكلم الله نوحاً قائلاً :

« اخرُج من الفلك انت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك .

« وكل الحيوانات التي معك من كل ذي جسد الطيور والبهائم وكل الدبابات التي تدب على الارض اخرجها معك .

« ولتتوالد في الارض وتُثمر وتكثر على الارض .

« فخرج نوح وبنوه وإمرأته ونساء بنيه معه .

« وكل الحيوانات كل الدبابات وكل الطيور كل مـا يدب على الارض وانواعها خرجت من الفلك . »

* * *

وقالوا :

« وبارك الله نوحاً وبنيه وقال لهم : أثمروا واكثروا واملأوا الارض .

« ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الارض وكل طيور السماء .

مع كل ما يدب على الارض وكل اسماك البحر قد دُفعت الى ايديكم .

« كل دابة حية تكون لكم طعاماً .

« كالعشب الاخضر دفعت اليكم الجميع ..

« فاثمروا انتم واكثروا وتوالدوا في الارض وتكاثروا فيها . »

* * *

« وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساماً وحاماً ويافث ..

« هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح .

« ومن هؤلاء تشعبت كل الارض .. »

* * *

« وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً .. »

* * *

وعاش نوح بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة .

فكانت كل ايام نوح تسع مئة وخمسين سنة ومات . » !

* * *

ومما عند اهل التفسير :

« قيل » من قِبَل الله .. بعدما غاض الماء .. واستوت على

الجودي .. وانكشفت الارض ويبست ..

« يا نوح اهبط » انزل انت من السفينة ، ومن معـــك .. مقروناً ..

« بسلام » وسلامة ونجاة وأمن ..

« منّا » عليك ، تفضلاً وامتنانـاً ..

« وبركات » كثيرة .. خيرات كثيرة نازلة ..

« عليك » أصالة ..

« وعلى أمم ممن معك » ستكون ممن معك .. إلى يوم القيامة .

« وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عـذاب اليم » وامم .. ممن معك سنمتعهم قليلاً ، وسوف يكفرون ، ثم يمسهم منا عذاب اليم بكفرهم !

اهبط ، بسلام منا .. وبركات عليك ..

ولكن اعلم يا نوح ، ان البشر هم البشر ..

سوف تكون من اولادك ، البشرية مرة اخرى ..

وسوف تكون منها ، أمم صالحة ..

وامم كافرة ..

والانسان هو الانسان ..

« **إمّا شاكرا ..**

« **وإما كفورا .** » !

نوح ..

كما يراه ..

ابن العربي !.

نضيف ..

ها هنا .. ما قاله ابن العربي ..
لنفتح افقاً جميلاً .. من آفاق اهل الذوق ..
يزيد الكتاب جمالا ..
وما قاله القاشاني .. شرحاً عليه ..
فنقول قال ابن العربي في كتابه العديم النظير ..
« فصوص الحكم » ..

(فص حكمة سبوحية
في كلمة نوحيـة)

قال القاشاني .. شرحاً للعنوان :

« السبوح المنزه عن كل نقص وآفة .

« ولما كان شيث .. عليه السلام .. مظهر الفيض الالهي الرحماني

« والفيض لا يكون إلا بالأسماء الداخلة تحت اسم الرحمن ..

« والرحمانية تقتضي الاستواء على العرش ..

« لأن الفيض كما يكون بالأسمـــاء ، كذلك لا يمكن إلا على القوابل ..

« فحكمة العطايا والوهب اقتضت التعدد الأسمائيـة ، ووجود المحـل الموهوب له ..

« وأصل القابلية للطبيعة الجسمانية .. فغلب على قومه حـكم التعدد والقوابل ..

« حتى إذا بعد عهد النبوة ، وتطاول زمان الفترة ..

« اتخذوا الاصنام ، على صورة الاسمـاء ..

« وحسبوا الاسماء أجساماً وأشخاصاً ..

« والمعاد جسمانياً محضاً ..

« لاقتضاء دعوته ذلك ..

« فاوجب حالهم ، أن يدعوا إلى التنزيه ، وينبهوا على التوحيد والتجريد ..

« ويذكروا الارواح المقدسة ، والمعاد الروحاني ..

« فبعث نوح ، عليه السلام ، بالحكمة السبوحية .

« والدعوة إلى التنزيه ، ورفع التشبيه ..

« فكنسبته عليه السلام في الدعوة ، إلى شيث عليه السلام ، نسبة عيسى ، إلى موسى ، عليه السلام .. »

ويفتتح الشيخ الاكبر .. قوله :

« اعلم .. ان التنزيه .. عند اهل الحقائق .. في الجناب الالهي .. عين التحديد والتقييد .. »

قال القاشاني :

« معناه أن التنزيه تمييزه عن المحدثات والجسمانيات ، وعن كل ما لا يقبل التنزيه من الماديات ..

« وكل ما تميز عن شيء ، فهو إنما يتميز عنه بصفة منافية لصفة التميز عنه

« فهو إذن مقيد بصفة ، ومحدود بحد ، فكان التنزيه عين التحديد ..

« غاية ما في الباب ، أن المنزه نزهه عن صفات الجسمانيات ، فقد شبهه بالروحانيات في التجريد ..

« او نزه عن التقييد ، فقد قيده بالإطلاق ..

« والله منزه ، عن قيدي التقييد واطلاق ..

« بل مطلق ، لا يتقيد باحدهما ، ولا ينافيهما .. »

ثم يقول عملاق .. الذوق والمعرفة :

« فالمنزه .. إما جاهل .. واما صاحب سوء أدب .. »

« إذا وقف عند التنزيه ، ولم يقل بالتشبيه ، وهو معنى .. »

« ولكن .. إذا اطلقاه .. وقالا به .. »

« أي لم يتجاوزا إلى التشبيه والجمع بينهما ..

« لأنه إن لم يتبع الشرائع ، ونزهه تنزيهاً ، يقابل التقييد ..

« بان جعله منزهاً ، عن كل قيد ، مجرداً ، فهو جاهل ..

« وإن كان متبعاً للشرائع ، كما قال »

« فالقائل بالشرائع المؤمن

« إذا نزه .. ووقف عند التنزيه .. ولم ير غير ذلك ، فقـــد

اساء الادب !

« وأكذب الحق ، والرسل صلوات الله عليهم ، وهو لا يشعر !

« ويتخيل انه في الحاصل وهو في الفائت . »

« وهو كمن آمن ببعض ، وكفر ببعض ! »

« فقد أساء الادب ، واكذب الحق والرسل ..

« لان الكتب الالهية ، والرسل ، ناطقة بالجمع بين التشبيه والتنزيه ، وهو يخالفهما »

ثم يقول عملاق الحقيقة :

« ولا سيما وقد علم ان السنة الشرائع الالهية ؛ إذا نطقت في الحق تعالى بما نطقت به ..

« إنما جاءت به في العموم على المفهوم الاول ..

« وعلى الخصوص .. على كل مفهوم يفهم من وجوه ذلك اللفظ !

« باي لسان كان في وضع ذلك اللسان ! »

« المراد من العموم ، عامة الناس ..

« ومن الخصوص ، خاصتهم ..

« والمفهوم الاول ، ما يتبادر إلى الفهم عند سماع اللفظ ..

« وهو المعنى الذي يستوى فيه الخاصة والعامة ..

« والمفهوم الثـــاني ، الذي يفهم من وجوه ذلك اللفظ ، مختص بالخاصة ..

« ولا يجوز ان يتكلم الحق بكلام يختص فهمه ببعض الناس دون البعض .

« ولا يفهم العامة منه شيئاً ، او يفهم مـا ليس بمراد ، وإلا لكان تدليساً .

« بل الحق من حيث هو مطلع على الكل ، يكلمهم بكلام ظاهر ما يسبق منه إلى الفهم ، وهو لسان العموم ..

وله وجوه ، بحسب تركيب اللفظ والدلالات الالتزامية ، لا يفمها إلا الخصوص

« وبحسب مراتب الفهم ، وانتقالاته تتفاوت الدلالات ، وتزيد وتنقص ..

« فللحق ، في كل مرتبة ، من مراتب الناس ، لسان .

« ولهـذا ورد قوله ، عليه الصلاة والسلام » !

« نزل القرآن على سبعة ابطن » !

وقوله :

« ما من آية إلا ولها ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ، ولكل حد

مطلع » [1]

« فمن الظهر إلى المطلع ، مراتب غير محصورة .

« ولكن يجب ان يفهم اول المعاني من ذلك اللفظ بحسب وضع ذلك اللسان .

« وترتب عليه سائرها ، بحسب الانتقالات الصحيحة

« فيكون الحق مخاطباً للكل .. بجميع تلك المعاني ..

« من المقام الأقدم .. الذي هو الأحدية .. إلى آخر مراتب الناس .. الذي هو لسان العموم ..

« كقوله مثلاً — ليس كمثله شيء وهو السميع البصير —

---

(١) فظهره .. ما يفهم من الفاظه ويسبق الذهن اليه وبطنه .. المفهومات اللازمة لمفهوم الأول ..

وحده .. ما اليه ينتهي غاية إدراك المفهوم والمعقول .. ومطلعه .. ما يفهم منه على سبيل الكشف والشهود من الاشارات الالهية ..

فالمفهوم الأول الذي هو الظهر للعوام والخواص .. والمفهومات اللازمة للخواص فقط .. والحد للكاملين منهم ، والمطلع لخلاصة أخص الخواص كأكابر الأولياء !

« فالمفهوم الاول .. ليس هو مثل الذي وصف بصفاته شيء .. إذ لا نظير له .. من غير قصد إلى مثل ونظير ..

« او ليس مثله شيء .. على أن الكاف زائدة ، وهو محض التنزيه ..

« وهو السميع البصير ، عن التشبيه ..

« لكن الخاصة يفهمون من التنزيه التشبيه ، ومن التشبيه بلا تشبيه التنزيه ..

« فان الكاف والمثل .. لو حملا على ظاهرهما ، كان معناه .. ليس مثل مثله شيء .. فيلزم ثبوت المثل والتشبيه بلا تشبيه ..

« وتعريف السميع البصير .. الدال على القصر .. يفيد أنه لا سميع ولا بصير إلا هو .. وهو عين التنزيه .. فافهم .. »

ثم يقول شيخ العارفين :

« فان للحق .. في كل خلق .. ظهوراً خاصا ..

« وهو الظاهر .. في كل مفهوم ..

« وهو الباطن .. عن كل فهم ..

« إلا عن فهم .. من قال إن العالم صورته .. وهويته .. وهو الاسم الظاهر .. »

« تعليل لكون المفهوم الأول ، الذي هو مفهوم العامة ، مراداً للحق ، من كلامه ..

« وكذا المفهومات التي يفهم منها فيه الخاصة !

« ولها مفهومات لا يفهم الخـــاصة أيضاً ، إلا خواص ، الخاصة ، الأوحديون ، العـــارفون ، الراسخون في العلم ، المرادون بقوله ـ ومـــا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العـــلم ـ

« إن لم تقف على قوله ـ إلا الله ـ

« وإن وقفت ، فالراسخون الذين ـ يقولون آمنـا به ـ هم الخـاصة ..

« وأما الذين يبتغون التأويل بالفكر ، ويحملون معنى كلام الله على معقولهم ، كأرباب المعتقدات ، المتبعين للمشابهـــات ، الواقفـــين مع عقولهم ، كالمتشبهين بالخواص ، فهـم الذين في قلوبهم زيـغ .

« فإن للحق ، في كل خلق ، ظهوراً ، بحسب استعداد ذلك

الخلق .

« فهو الظاهر ، في كل مفهوم ، بقدر استعداد الفـــاهم ، وذلك حده ، كما قـــال تعالى ـ فسالت أودية بقدَرها ـ

« وهو الباطن ، عن كل فهم ، بما زاد عن استعداده !

« فـــإن رام ما فوق حده بالفكر ، وهو الذي بطن عن فهمه ، زاغ قلبه .

« إلا فهم العارف ، الذي لا حد لفهمه ، وهو الفاهم بالله ، من الله ، لا بالفكر .

« فلا يبطن عن فهمه شيء .

« فيعلم ان العالم صورته ، وهويته .

(أي حقيقته ، باعتبار الاسم الظاهر .

(فان الحقيقة الالهية المطلقة ، لم تكن هوية ، إلا باعتبـــار تقيدها ؛ ولو تقيد الإطلاق ، كقوله ـ هو الله أحد ـ

(وأما من حيث ، هي هي ، فهي مطلقة مع تقيدها بجميع القيود الأسمائية .

فالعالم هويته ، اي حقيقته ، بقيد الظهور .)

« كما انه بالمعنى ..

« اي .. كما ان الحق بالمعنى »

« روح .. ما ظهر .. »

« وذلك ايضاً هويته »

« فنسبته .. لما ظهر من صور العالم .. نسبة الروح .. المدبر للصورة .. »

(لما اثبت للحقيقة الإلهية هوية ، باعتبار اسمه الظاهر ، وهوية باعتبار اسمه الباطن ..

(شبه نسبة باطنيته إلى ظاهريته ، من صور العالم ، بنسبة الروح الانساني المدبر لصورته إلى صورته ..

(واللام في لما ظهر ، بمعنى إلى ..

(أي نسبته مع قيد البطون الى نفسه مع قيد الظهور ..)

« فيؤخذ .. »

« اي .. فكما يؤخذ »

« في حد الانسان مثلاً .. باطنه وظاهره .. وكذلك كل محدود .. »

(فكذلك يجب أن يؤخذ في حد الحق ، جميع الظواهر وجميع البواطن .

(حتى يكون محدوداً بكل الحدود ، كما قال .)

« فالحق .. محدود بكل حد ..

« وصور العالم .. لا تنضبط .. ولا يحاط بها .. ولا يعلم حدود كل صورة منها .. إلا على قدر ما حصل .. أي لكل عـــالم من صورته ..

« فلذلك يجهل .. حد الحق ..

« فانه لا يعلم حده .. إلا بعلم حد كل صورة ..

« وهذا محال حصوله ..

« فحد الحق محال .. »

(أي لا يمكن لأحد الاحاطة ، بكل الظواهر والبواطن ، حتى يحيط بكل الحدود ، لأنها لا تنضبط ..

(فلا يعلم عالم حد الحق ..

(ومحال ان يعـلم ..

(فلا يزال حده مجهولاً ، محالاً علمه ووجوده ..

(لأن مجموع الظواهر والبواطن ممكنات ، ليس بالمطلق .

(فجموع الحدود أيضاً ، ليس بحده !)

« وكذلك ..

« من شبهه وما نزهه ..

« فقد قيده وحدده .. وما عرفه .. »

(ظاهر ، لأن من شبهه ، حصره في تعين .

(وكل ما كان محصوراً في حد ، فهو لهذا الاعتبار خلق .

(ومن هذا يعلم أن مجموع الحدود ، وان لم يكن غيره ، ليس عينه !

(لأن الحقيقة الواحدة ، الظاهرة في جميع التعينات ، غير مجموع التعينات)

« ومن جمع .. في معرفته ، بين التنزيه والتشبيه ..

« ووصفه بالوصفين على الاجمال .. »

(بان قال ، هو المنزه عن جميع التعينات ، بحقيقته الواحدة ، التي هو بها احد ، المشبه بكل شيء ، باعتبار ظهوره في صورته ، وتجليه في صورة كل متعين على الإجمال)

« لأنه .. يستحيل ذلك على التفصيل ..

« لعدم الاحاطة بما في العالم من الصور ..

« فقد عرفه مجملا .. لا على التفصيل ..

« كما عرف نفسه مجملا .. لا على التفصيل .. »

(لأنك تعلم انك واحد ، وتعبر عن حقيقتك بأنا ..

(وتضيف كل جزء من أجزائك على الاجمال الى حقيقتك .

(فتقول : عيني ، وأذني ، وبصري ، الى آخر أجزائك .

(وتعلم انك المدرك بالسمع والبصر .

(فأنت غير جزء من اجزائك الظاهرة والباطنة .

(وانت الظاهر في صورة كل جزء منك ، بحيث لو قطعت علاقتك عنها لم يبق واحد منها ، وتغيب عن كل جزء منك على التفصيل ، ولا تغيب عن ذاتك قط ..

(فلا تغيب عن جزء ما من أجزائك على الاجمال)

« ولذلك .. ربط النبي .. صلى الله عليه .. معرفة الحق بمعرفة النفس ..

« فقال (من عرف نفسه فقد عرف ربه) .. »

(فان الحقيقة التي تعبر عنها بأنا .. هو الرب في الكل .. إذا لم تتقيد بتعينك ، وغيره إذا قيدته فلم تكن غيرا إلا من حيث التقيـــد ..

(وهو ايضاً من حيث التقيد المعين ، هو جميع التقيدات لا بدونهـــا ..

(فانه هو المتقيد بجميع التقيدات .. ألا ترى إلى قوله ــ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ــ

(فسلب الرمى عنه .. لأنـــه بدون الله ، لا شيء محض .. فلا يكون رامياً ..

(وأثبت الرمي له ، باعتبار أنه هو ، بل هو الظـــاهر بصورته .. حتى وجـــد فرمي .. ولذلك قال ــ ولكن الله رمى ــ)

« وقال – سنريهم آياتنا .. »

« اي .. صفاتنا »

« في الآفاق – وهو ما خرج عنك .. »

« باعتبار كون تعيناتها غير تعينك »

« وفي انفسهم - وهو عينك .. »

« الذي ظهر فيك بصفاته .. وإلا لم توجد »

« حتى يتبين لهم – اي للناظر – أنه الحق – ..

« من حيث أنك صورته .. وهو روحك .. »

(اي يتبين للناظر .. انه الحق الذي ظهر في الآفاق والأنفس ..

(فالناظر ، وكل واحد من المنظور فيه .. صورة ..

(وهو .. روح الكل ، ولهذا قال)

« فأنت له ..

« كالصورة الجسيمة الك .. »

« لأنك مظهره .. كما أن الجسيمة مظهرك »

« وهو لك كالروح المدبرة لصورة جسدك .. »

« لأنه الظاهر بصورتك .. المدبر لها »

« والحد يشمل الظاهر والباطن منك .. »

« يعني .. أن الظاهر كالحيوانية .. مأخوذ في حد الانسان كالباطن ..

« أي النفس الناطقة .. المأخوذ عنها الناطق الباطن في

الحـــــد »

« فان الصورة الباقية .. »

« ما دام حيـاً »

« اذا زال عنها الروح المدبر ها .. لم يبق إنساناً ..

« ولكن يقال فيها .. إنها صورة تشبه صورة الانسان .. »

« إذ ليس فيها معنى الانسان »

« فلا فرق بينها وبين صورة من خشب أو حجارة ..

« ولا ينطلق عليها إسم الأنسان ، إلا بالمجاز لا بالحقيقة .. »

« وصور العالم ، لا يمكن زوال الحق عنها اصلا ..

« فحد الالوهية له بالحقيقة لا بالمجاز ..

« كما هو حد الانسان ، اذا كان حياً .. »

(بناء على ان الحد يشمل الظاهر والبـاطن ..

(لأن صور العالم ظاهر الحق ، وروح العالم باطنه ..

(ولا يمكن زوال روح العالم عن صوره ..

(فحد الألوهية ، باعتبار الظاهر والباطن ، ثابت له بالحقيقـة لا بالمجاز ..

(كما هو حد الانسان حال حياته)

« وكما أن ظاهر صورة الانسان يثني بلسانها على روحها ونفسها المدبر لها »

(معناه أن صورة الانسان بحركاتها ، وادراكاتها ، واظهار خواصها وكمالاتها ، يثني على روحها ونفسها ..

(فان اعضاء الانسان وجوارحه أجساد .. لولا روحها لم تتحرك ، ولم تدرك شيئاً .. ولا فضيلة لها من الكرم والعطاء والجود والسخاء والشجاعة والصدق والوفاء ..

(ولا ثناء إلا ذكر الجميل ..

(فهي تذكر روحها ، بهذه الصفات الجميلة ، التي هي أثنية فاتحة ..)

« كذلك جعل الله صور العالم .. »

« التي صورنا .. من جملتها .. »

« تسبح بحمده .. ولكن لا يفقهون تسبيحهم .. »

(أي تثني بخواصها وكمالاتها ..

(وكل ما يصدر عنها ، على روح الكل ..

(فهو بظاهره يثني على باطنه ..

(فباعتبار تنزيه تلك الصور روجها عن النقائص ، التي هي أضداد كمالاتها مسبحة له .

(وباعتبار إظهارها لتلك الكمالات حامدة ..

(لكن لا نفقة تسبيحهم ، لأنا لا نفقه السنتهم ، كما لا يفهم التركي لسان الهندي ..)

« لانا لا نحيط .. بما في العالم من الصور »

« حتى نضبط أنواع التسبيح والتحميد .. فلا نحصيها .. ولكن نعلم على الاجمال . »

ثم يتشعشع جوهرة العارفين فيقول :

« فالكل . السنة الحق ..

« ناطقة .. بالثناء على الحق ..

« ولذلك قال الحمد .. »

« اي ، الثناء المطلق ، من كل واحد .. على التفصيل .. »

« لله .. رب العالمين .. »

(اي .. الموصوف بجميع الأوصاف الكمالية ، رب الكل .. بأسمائها .. باعتبار أحدية الجمع ..)

« اي اليه .. »

(باعتبار الجمع ..)

« يرجع عواقب الثناء .. »

(التفصيلي ..)

« فهو المثني .. »

(تفصيلاً ..)

« والمثنى عليه »

(جمعاً ..

(قوله نظماً ..)

« فان قلت بالتنزيه كنت مقيدا
وان قلت بالتشبيه كنت محددا

وان قلت بالأمرين كنت مسددا
وكنت إما ما في المعارف سيدا »

(نتيجة لما ذكره ..

(فمن علم مقدماته علم معنـاه ..)

« فمن قال بالاشفاع .. كان مشركاً ..

« ومن قال بالافراد .. كان موحداً .. »

(اي .. من قال بالاثنين ..

(وأثبت خلقاً ، مبايناً للحق في وجوده ، كان مثبتاً لشريك له في الوجود ، قائلاً بمتماثلين في الوجود .. مشبهاً ..

(ومن قال بأنه فرد ، لا يلحقه التعـدد ، وأفرده من جميع الوجوه ، وجرده عن كل ما سواه ، وأخرج عنه التكثر للتنزيه .. فقد جعله واحداً ، منزها عن الكثرة ، مقيداً بالوحـــدة ، وقع بالشرك ، كالأول .. من حيث لا يشعر ..

(إذ التعدد والتكثر ، موجود ، فقد أخرج بعض الموجودات عن وجوده ، وثبت التماثل .

(ولذلك قال ..)

« فاياك والتشبيه ، ان كنت ثانياً .. »

(اي .. ان كنت مثنياً للخلق .. مع الحق .. فـــاحذر التشبيه ..

(بأن تثبت ، خلقـاً غيره ..

(بل اجعـل الخلق ، عينه .. بارزاً في صورة التقييد .. والتعيين ..)

« واياك والتنزيه ، ان كنت مفردا .. »

(اي .. وان لم تثبت الخلق معه ..

(فلا تجرده عن التعدد ، حتى يلزم وجود متعددات غيره ..

(لغلوك في التنزيه ، فتقع فيما تهرب منه ..

(او تعطله ، فتلحقه بالعدم ..

(بل اجعله الواحد بالحقيقة ..

(الكثير بالصفات !

(فلا شيء بعده ..

(ولا شيء غيره ..

(واجعله .. عين الخلق ، محتجباً بصورهم ..

(وهذا معنى قوله ، قدس الله سره ..)

« فما انت هو .. بل انت هو ، وتراه في عين الامور ، مسرحا ومقيدا »

(لأن انت حقيقة ، بقيد الخطاب .. أي بكونها مخاطباً ..

(وهو تلك الحقيقة ، مقيدة بقيد الغيبة ..

(ولا شك ان المقيد بقيد الخطاب ، غير المقيد بقيد الغيبة ..

(بل انت ، من حيث الحقيقة ، عين هو ، باعتبار التسريح

والاطلاق ..

(وتراه ، في عين الأمور ، اي في صور أعيان الأشياء مقيداً بكل واحد منها ، مسرحاً ، اي مطلقاً بكونها في الكل ..

(اذ الحقيقة في صور الكل واحدة ، وكل مقيد عين المقيد الآخر ، وعين المسرح ..

(قوله :

« قال الله تعالى — ليس كمثله شيء — فنزه »

(علم ان الكاف زائدة للتأكيد ..

(أي .. مثله شيء ، أصلاً ، بوجه من الوجوه ..

(ومعنى التأكيد أن المراد بالمثل من يتصف بصفاته ..

(كقولك : مثلك لا يفعل كذا ، أي من يتصف بمثل صفاتك من غير قصد الى مثل ، بل من يناسبك في الصفات ..

(واذا انتفى عمن يناسبه ، كان أبلغ في الانتفاء ، فيرجع معناه الى قولك انت لا تفعل كذا ، لاتصافك بصفات تـأبى ذلك ..)

« — وهو السميع البصير — فشبه »

(لأن الخلق سميع بصير ..)

« قال تعالى — ليس كمثله شيء — فشبه وثني »

(على أن الكاف ليست بزائدة ، والمثل النظـــير ، فنفى مثل المثل ، وأثبت المثل ، فشبهه به ، وقـال بالتشبيه ان المثـــل آخر يمـــاثله ..)

« — وهو السميع البصير —

« فنزه .. وافرد »

(اذ تقديم الضمير ، وتعريف الخبر ، يفيـد الحصر ..

(أي .. وحده السميـع البصير .. دون غيره ..

(يعني ، لا سميـع ، ولا بصير الا هو ..

(فنزه عن المثل ..

(وأفرد ، فشبه في عين التنزيه

(ونزه ، في عين التشبيه ..

(ليعـلم ان الحق ، هو الجمع بينهما ..

قوله :

« ولو ان نوحاً ..

« جمع لقومه بين الدعوتين لاجابوه »

(معناه .. ان نوحاً ، عليه السلام ، بالغ في التنزيه لافراطهم في التشبيه .

(وهم أثبتوا التعـــدد الاسمائي .. واحتجبوا بالكثرة عن الوحدة ..

(فلو لم يؤاخذهم بالتوحيد الصرف ، والتنزيه المحض ..

(وأثبت التعدد الأسمائي ..

(ودعاهم إلى الكثير الواحد ، والكثرة الواحـدة ..

(والبس الوحـدة صورة الكثرة ..

(وجمع بين الدعوة التشبيهية والتنزيه ..

(كما فعل محمد .. عليه الصلاة والسلام ..

(لأجـــابوه ، بما ناسب التشبيه من ظواهرهم ، لالفتهم مع الشرك ..

(وبما ناسب التنزيه من بواطنهم ..

(ولكن اقتضى حالهم من التعمق في الشرك ، القهر بالغيرة الالهية ..

(فلم يرسل اليهم ، إلا ليباركهم ، ولا يداريهم ..)

« فدعاهم

« جهاراً »

(إلى الاسم الظاهر ، وأحديته القـــامعة .. لكثرات الأسماء الداخلة تحته .

(فلم يجيبوه ، بظواهرهم .. لغلبـــة احكام الكثرة عليهم .. وإصرارهم بها ..)

(الى اسمه الباطن ..

« ثم دعاهم

« إسرارا »

(وأحديته الغامرة ، لكثرات الأسماء المنسوبة اليه ..

(لعل ارواحهم ، تقبـــل دعوتهم بالنور الاستعـــدادي الأصـلي ..

(فلم يرفعوا بذلك رأساً ، لتوغلهم في الميـــل إلى الكثرة الظاهرة ، وبعدهم عن الوحدة الباطنة ..

(واستيلاء احكام التعينات المظلمة ، الجرمانية عليها ..)

« ثم قال لهم

« استغفروا ربكم »

(الواحد ، ليستركم بنوره ، عن هذه الحجب الظلمانية ، والهيئات الفاسقة ..)

« إنه كان غفاراً — »

« كثير الستر ، لهذه الذنوب المربوطة ..

« وشكا الى ربه لبعدهم عن التوحيد ، ومنافاتهم عن حاله .. »

« وقال — دعوت قومي ليلا .. »

(إلى الباطن)

« ونهاراً »

(إلى الظاهر)

« فلم يزدهم دعائي الا فرارا — »

(لبعدهم عن التوحيد .. ونفارهم عما فيه ..)

« وذكر عن قومه .. انهم تصاموا عن دعوته .. »

« لأنهم فهموا بحكم ما غلب عليهم من الاحتجاب بالكثرة من

الاستغفار . الستر عما لا يوافقهم وينافي مقامهم وحالهم ودينهم .. من التوحيد الذي يدعوهم اليه .. »

« لعلمهم بما يجب عليهم .. من إجابة دعوته .. »

« اي .. لما علموا بحسب اقتضاء حالهم ومقامهم .. أن اجابة دعوته في مقام التقييد الأسمائي .. انما يجب على هذه الصورة .. »

« فعلم العلماء بالله ..

« ما اشار اليه نوح ..

« في حق قومه

« من الثناء عليهم بلسان الذم .. »

« فان العزيز الجليل ، لما تعزز بجلاله ..

« وأقام أهل الذل والتأخير .. في مرتبة خير من مراتب جميع الوجود ..

« كان هو المانع عن تقدمهم ..

« فيكون العالم بالله ، الهادي بهدايته .. يذمهم بلسان الاسم الهادي .. بذم هو عين الثناء والمدح بلسان التوحيد ..

« لعلمه بأن إجابتهم الداعي إلى المقام الأعلى ، ومقام الجمال والتقدم .. لا تكون إلا هذه الصنعة ..

« وكلما كان المدعو أصلب في دينه ، وأشد إباء للداعي إلى ضد مقامه ، كان أشد طاعة وقبولاً لامر ربه وحكمه ، حتى إن إباء إبليس عن السجود .. وعصيانه واستكباره ، بحسب ظاهر الامر .. عين سجوده وطاعته وخدمته وتواضعه لربه ، باعتبار الارادة ..

« فان العزيز الجليل ، أقامه في حجاب العزة والجلال ، ذليلاً محجوباً .. حتى يكون إبليس ..

« فلم يكن له بد من موافقة مراده .. لذلك أقسم بعزته ..

« فإن الإغواء مقتضى العزة ، والاحتجاب بحجب الجلال .. »

« أي .. التفصيل .. وترك شق من الوجود .. إلى شق آخر ..

« أي .. من صورة الكثرة الى الوحدة ..

« ومن اسم المذل الى المعز ..

« وعلم انهم إنما لم يجيبوا دعوته ..

« **لما فيها من الفرقان** »

« ومن المفضل الى الهادي . »

« **والامر قرآن ..** »

« اي .. الامر الإلهي .. »

« **لا فرقان ..** »

« اي .. والامر الإلهي ، جامع ، شامل للمراتب كلها ..

« فللذئب دين وللغنم ..

« وكل يدين بدينه ، مطيع لربه .. مسبح له بحمده ..

« قوله :

« **ومن اقيم في القرآن ..** »

« اي .. في الجمع .. »

« **لا يصغي الى الفرقان** »

« أي .. التفصيل .. »

« **وان كان فيه** »

« أي .. وان كان الفرقان في القرآن .. »

« فان القرآن يتضمن الفرقان

« والفرقان لا يتضمن القرآن »

« اي .. فان تفاصيل المراتب والاسماء ، المقتضية لهـــا .. موجودة في الجمع ..

« والجمع .. لا يوجد في التفاصيل ..

« او .. وان كان الذي أقـــيم في القـرآن ، ولا يصغي في الفرقـــان ، في عين الفرقـــان .. فان التفاصيل موجودة في الجمـع ..

« واهل كل مرتبة ، في مراتب التفصيل .. اهل تفرقة فرقانية في عين الجمع ..

« لقوم نوح ، فانهم اهل الحجاب ، وعباد الكثرات ..

« لا يجيبون الى التوحيد ، وتنزيه التجريد ..

« ومن كان مرتبته الجمع .. كنوح عليه السلام ..

« يطلع على مراتبهم ، ويعذر الكل ..

« ويعـلم ان انكارهم عين الاقرار ..

« وفرارهم عين الاجابة

« كما قال عليّ .. كرم الله وجهه : يشهد له أعلام الوجود .. على اقرار قلب ذي الجحود .. »

« **ولهذا ..**

« **ما اختص بالقرآن ..**

« **الا محمد .. صلى الله عليه وسلم**

« **وهذه الامة**

« **التي هي خير أمة أخرجت للناس »**

« أي .. ولان القرآن يتضمن الفرقان ، انما اختص به محمد ، عليه الصلاة والسلام ، وأمته ، لانه الخاتم ..

« فكان جامعاً ، لمقتضيات جميع الاسماء ..

« بجمع التنزيه ، والتشبيه ، في أمر واحد ..

« كما قال

« **فليس كمثله شيء ..**

« **فجمع الأمور في أمر واحد »**

« وأثبت الفرق في الجمع

« والجمع في الفرق ..

« وحكم بان الواحد كثير باعتبار ..

« والكثير واحد بالحقيقة ..

ولهذا بعث عليه الصلاة والسلام ، بالحنيفيـــة ، السمحة .. السهلة ..

وأمـــا صاحب الفرقان ، فامره صعب ، ودعوتـــه أصعب وأشق ..

لانه ان دعا الى التنزيه والتوحيد والجمع بدون التفصيل ..

اجابوه بمفهوم قوله – ما من دابة الا هو آخذ بنـاصيتها ان ربي على صراط مستقيم –

فلا فرق بين الهادي والمضل !

ولا بين العاصي والمطيع

بل لا عاصي في هذا الشهود !

كما أجاب قوم نوح دعوته !

وان دعا الى التشبيه والتفصيل ، أجـــابوه بمثل قوم موسى – أرنا الله جهرة –

وقولهم – اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة –

لان الداعي في شق ، والمدعو في شق ..

فكل يرجع جانبه .. ويخالف عن سمته الى ما يقابله ..

بخلاف من جمع بين الجمع والتفصيل ، والتشبيه والتنزيه

« فلو ان نوحاً عليه السلام

« يأتي بمثل هذه الاية لفظاً لاجابوه

« فانه شبه ، ونزه في آية واحدة

« بل في نصف آية .. »

أي .. كانت دعوة نوح ، عليه السلام ، الى التنزيه المحض ..

لكون قومه محتجبين بعبادة الاصنام ، لتأدية دعوة الانبياء السالفة الى نفي الكثرة الاسمائية المؤدية الى ذلك !

فنفروا عن ذلك نفور الضد عن الضد ..

فلو جمع بين التنزيه والتشبيه ، كما ذكر في الآية ، لاجابوه لوجود المناسبة ..

« ونوح .. دعا قومه ليلا ، من حيث عقولهم ، وروحانيتهم ، فانها غيب !

« ونهارا ، دعاهم ايضاً ، من حيث ظاهر صورهم وجثثهم ..

« وما جمع في الدعوة مثل — ليس كمثله شيء —

« فنفرت بواطنهم لهذا الفرقان

« فزادهم فرارا »

« ظاهر ، مما سلف ، لانه تقرير له ..

« ثم قال عن نفسه

« انه دعاهم ليغفر لهم

« لا ليكشف لهم

« وفهموا ذلك منه ، صلى الله عليه وسلم !

« كذلك جعلوا اصابعهم في آذانهم ، واستغشوا ثيابهم .

« وهذه كلها صورة الستر التي دعاهم اليها !

« فأجابوا دعوته بالفعل ، لا بلبيك »

لان الكشف ، انما يكون لمن غلبت روحانيته ونورانيته ، بغلبة نور الوحدة والقوة العقلية ، على ظلمة الكثرة والقوة الحسية ، وهم أهل الهيئات الظلماتية ، المحتاجون الى سترها بالنور القدسي ..

فلذلك فهموا من الستر ، بمقتضى حالهم الستر الصوري !

فاجابوا دعوته ، في صورة الرد والانكار بالستر ، لغلبة حكم الحجاب عليهم ، وكونهم أهل علتهم ، وكونهم أهل المعصية ، المقبلين

على عمارة عالم الملك والاحتجاب ..

كما قال تعالى : (اني جعلت معصية آدم سبباً لعمارة العالم) ..

فهم مدبرون بالطبع عما دعاهم اليه ، مقبلون الى ضد جهته !

فلا تكون اجابتهم الا في صورة التضاد ، اجابة فعلية ..

« **ففي - ليس كمثله شيء -**

« **إثبات المثل .. ونفيه ..**

« **وبهذا قال عن نفسه .. صلى الله عليه وسلم .. إنه اوتي جوامع الكلم ..**

« **فما دعا محمد .. عليه الصلاة والسلام .. قومه ليلا ونهارا ..**

« **بل دعاهم ليلا في نهار ..**

« **ونهارا في ليل .. »**

أي ، في هذه الآية ، جمع بين التشبيه والتنزيه ..

فهو كالنتيجة لما سبق التقرير له

وبهذا الجمع اخبر عن نفسه ، انه اوتي جوامع الكلم !

اي الاسماء الالهية ، ومقتضياتها كلها !

فما دعا الى الظاهر واحكامه فقط !

والى الباطن واحكامه !

بل جمع بين الباطن والظاهر ، بأحدية الجمع !

باطناً في الظاهر ..

وظاهراً في الباطن ..

اي .. الكل من حيث انه واحد متجمل فيهما ..

قوله :

« فقال نوح .. عليه السلام .. في حكمته لقومه ـ يرسل السماء عليكم مدرارا ـ »

معناه .. ان نوحاً ، عليه السلام ، لما رأى إجابتهم الفعلية ، بحكم مقامهم وحالهم ..

حيث فهموا من الاستغفار طلب الستر ، ومن الغفران الستر ، وحملوا عليه قوله مستهزئين مستخفين لمنافاة حالهم حاله ..

نزل عن مقامه ، ليمكر بهم فيهديهم من حيث لا يشعرون ..

فتكلم بما ظاهره مناسب ما اختاروه من الظواهر ..

وباطنه يناسب معقولهم ، الذي يتبعونه ويتلقونه بأفكارهم وعقولهم

المشوبة بالوهم ، المحجوبة عن الفهم ، المشغولة عن نور القدس بظلمة عالم الرجس .

فقال ـ يرسل السماء عليكم مدراراً ـ

أي .. يستر الظلمات ، التي هي الصفات النفسانية ، والهيئات الفاسقة الجرمانية ، بنور الروح ..

فيرسل من سماء العقل المجرد مياه العلوم .

« وهي المعارف العقلية في المعاني والنظر الاعتباري »

المؤدي إلى الحقائق المطالب النظرية ..

« ويمددكم .. »

عند ادراككم المعارف العقلية .. والمعاني الكلية التنزيهية ..

ويجردكم عن الغشاوي الطبيعية ..

« بأموال ـ

« اي .. بما يميل بكم اليه .. »

من الواردات القدسية ،، والكشوف الروحية ، والتجليات الشهودية ، الجاذبة إياكم اليه ..

« فاذا مال بكم اليه .. »

أي .. جذبكم البارق القدسي .. والتجلي الشهودي اليه .

« رايتم صورتكم فيه .. »

كما مر !

« فمن تخيل منكم انه رآه فما عرف .. »

لأنه اكبر من ان يتجلى في صورة واحدة ..

« ومن عرف منكم .. انه راى نفسه .. »

أي .. رأى الحق ، في صورة عينــه ..

« فهو العارف ..

« فلهذا انقسم الناس .. »

أي .. أهل الوجدان ، الذين هم الناس بالحقيقة !

« إلى عالم بالله ..

« وغير عالم به .. »

كما هو الأمر عليه !

« وولده ؛ وهو ما انتجه لهم نظرهم الفكري .. »

« اي .. ولما اشتد احتجابهم بالظواهر ، وتقيدوا بهـا ، كانت عقولهم مشوبة بالأوهام ، لم تتجاوز إلى المعارف المجردة الكليـة ، في التنزيه عن مقتضيات افكارهم العاديات ، والقيـاسيات العرفيـة

المقيدة بالقيود الوهمية والتخيلية .

« واحتجبت بالتعينات والتقييدات العقلية ، المطابقة لمدركاتها الوهمية والتخييلية والحسية في التقيد .. »

« والامر ، موقوف علمه على المشاهدة

« بعيد عن نتائج الفكر .. »

« فانكروا لما دعاهم اليه اشد إنكار ، واتبعوا معقولهم العادي ..

« فشكا نوح إلى ربه بقوله – رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً -

« اي ، اتبعوا من ينزه الله التنزيه التقييدي الفكري ، الموجب تشبيهه تعالى بالأرواح في التقييد ..

« فلم يزده ماله ، اي علمه ومعقوله الفكري !

« وولده ، اي ما انتجه فكره في المعرفة !

« فهو معتقده من إله مجعول متصور ..

« إلا خساراً ، بزوال نور استعدادهم الاصلي ، لاحتجابهم بمعقولهم ! »

« فما ربحت تجارتهم »

« وما كانوا مهتدين ..

« **فزال عنهم ما كان في ايديهم**

« **مما كانوا يتخيلون انه ملك لهم »**

« وهو ما حصلوا بافكارهم من معقولهم ..

« وما حسبوا النجاة فيه من الاله الاعتقادي ..

« وما توهموا أنه ينجحهم .

« لان الامر كما قال موقوف علمه على المشاهدة ، بعيد عن نتائج الفكر !

« ولا يزيد الفكر فيه إلا احتجاباً بصورة معتقدهم .. »

« **وهو في المحمديين .. »**

« الضمير راجع إلى ما كانوا يتخيلون أنه ملك لهم ..

« اي .. ما تخيلوا انه ملك لهم ثابت في المحمديين ، لقوله تعالى في حقهم

(وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه)

أمرهم بالانفاق ، ليرجع بسبب انفاقهم ما منه اليه

« ولما استخلفهم استأثر بالملك ، وجعلهم خلفاء فيه ، لان الملك

للمستخلِف لا للمستخلف .. »

« وفي نوح عليه السلام »

« اي ، وفي النوحيين ، او في قوم نوح ؛ لان هذا الخطاب لبني اسرائيل ، وما هم ذرية نوح حين قال – وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل .. »

« الا تتخذوا من دوني وكيلا »

« ذرية من حملنا مع نوح .. »

« واثبت الملك لهم .. والوكالة لله فيه »

« فإن الملك انما يكون للموكل لا للوكيل ..

« فلم يجعلهم خلفاء متصرفين وجعلهم مالكين ..

« لانه تعالى هو الظاهر في صورة اعيانهم وما ملكت ايمانهم ..

« فالكل مالكون بتمليكه اياهم لا بانفسهم .. ولكن لا يشعرون ..

فما استحقوا الخلافة لانهم لا يعرفون قدر الملك ..

واستحقها المحمديون لمكان عرفانهم .. »

« فهم .. »

اي المحمديون ..

« مستخلفين فيهم .. »

في انفسهم .. أي في قوم نوح ، وفي الأمم كلهـم ، لأنهـم من جمله الملك .

« فالملك لله .. وهو وكيلهم .. »

« لأن الوكالة الثابتة في النوحيين ثابتة في حقهم ، لقوله — لا إله إلا هو فـاتخذه وكيلاً — وقالوا — حسبنا الله ونعم الوكيل —

« وإذا كان الله وكيلهم .. فالملك لهم : وهو عـين الملك الذي قال فيه :

« وذلك ملك الاستخلاف .. »

وهو في المحمديين ..

فهم فيه مستخلفون فيهم ..

« وبهذا كان الحق .. مالك الملك .. كما قال الترمذي .. »

« وهو إشارة إلى ما ذكر الشيخ العارف ، محمد بن علي الحكيم الترمذي .. من جملة سؤالاته التي سأل عنها الخاتم للولاية ، قبـل

ولادة الشيخ العارف محيي الدين ، وهو قوله : ما ملك الملك ..

« وإلى هذا المعنى أشار الشيخ العارف أبو يزيد البسطامي ، قدس الله روحه في مناجاته ، وقد تجلى له الملك الحق المبين فقال :

« ملكي اعظم من ملكك .. لكونك لي .. وأنا لك ، فأنا ملكك وأنت ملكي !

« وأنت العظيم الاعظم ، وملكي أنت ، فأنت أعظم من ملكك وهو أنا ..

قوله :

« ـ ومكروا مكراً كُبّارا ـ

« لان الدعوة إلى الله .. مكر بالمدعو ..

« لأنه ما عدم من البداية .. فيدعى إلى الغاية ..

« ـ أدعو إلى الله ـ فهذا عين المكر ـ على بصيرة ـ .. »

« معناه أن الدعوة إلى الله دعوة منه اليه ..

« لأن الله عين المدعو والداعي .. والبداية والغاية ، لكونه عين كل شيء ..

« فهو مكر بالمدعو ، لان المدعو مع الله فكيف يدعى الى الله ؟!

« فقابلوا مكر الداعي ، بمكر أعظم من مكره ..

« فقالوا — ولا تذرن وداً ولا سواعـــاً ولا يغوث ويعوق ونسراً —

« فانهم إذا تركوهم .. فقد تركوا الحق وجهلوه ، بقدر ما تركوا من هؤلاء ..

فان للحق في كل معبود وجهاً ، يعرفه من يعرفـه ، ويجهله من يجهلـه ..

« فهم مقرون بما يدعو الداعي اليه ..

« وفي صورة الانـكار مجيبون دعوتـه في صورة الرد ، من حيث لا يشعـرون .

« فان الدعوة فرقان ، وهم في القرآن ..

« فكأنهم مع كفرهم يقولون ، قد اتينا الله ونحن معه ، فـان المدعو معه عين المدعو اليه .. في شهود المكاشف .. وغيره في اعتقاد غير المكاشف ..

« فعندهم انه لو اجابوه ظاهراً .. لتركوا الحق الى الباطل ..

« فلذلك كان مكرهم أكبر من مكره ..

« فقوله – ادعو الى الله – عين المكر – على بصيرة – أي على علم بأن الدعوة ، منه اليـه ..

« فنبه .. عليه السلام .. ان الامر له كله .. »

« وأنه يدعو بأمر الله ، والمدعو يجيبه بالفعل ، وانه مطيع بما أمر به .. واقف مع ما خلق له ، وأريد منه .. تحت حكم قاهر وسلطنة أمر باهر ..

« وهو معنى قوله :

« فأجابوه مكرا .. كما دعاهم .. »

« على ما ذكر آنفاً ..

« لكنه يعلم ان صلاح المستعدين المجيبين .. في قبول الدعوة ، من حيث أنهم وقعوا في غاية التفرقة والحجـــاب .. وتعمقوا في أقاصي عالم الامكان .. فلو أجابوا لخرجوا من التفرقة الى الجمع . وخلصوا من مهاوي الامكان الى ذرى الجمع .. وبلغوا كمالهم الجمعي الذي منه يبدأ الامر واليه عاد ..

« ولهذا قال :

« **فجاء المحمدي ..**

« **وعلم أن الدعوة إلى الله .. ما هي من حيث هويته .. »**

لأن الهوية الاحدية ، مع الكل سواء ..

« **وإنما هي .. من حيث اسمائه .. »**

« فيدعون من الاسم الخافض ، الى الرافع ..

« ومن اسم المنتقم إلى الرحيم .

« ومن اسم المضل ، إلى الهادي .. »

« **فقال تعالى ـ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ـ**

« **فجاء بحرف الغاية .. وقرنها بالاسم .. »**

« ليعلم ان الرحمن ، اسم شامل لجميع الأسماء ، فيكون العالم تحت إحاطته

« إذ لا فرق بينه وبين اسم الله ..

« كما قال ـ قل أدعوا الله أو ادعوا الرحمن أياماً تدعوا فله الأسماء الحسنى ـ

« وكل طائفة من أهل العالم .. تحت ربوبية اسم من أسمائه .

« ومن كان تحت ربوبية إسم .. كان عبداً لذلك الاسم ..

« فيدعوهم رسول الله .. من تفرقة تلك الأسماء ، إلى حضرة جمع اسم الرحمن ، أو اسم الله ..

« وهي الدعوة على بصيرة ..

« لأنه تحصين من رق الآلهة المتشاكسة ، إلى عبودية الإله الواحد ..

« كما قال تعالى ـ ضرب الله مثلاً عبداً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلما لرجل ـ

« واسم الرحمن .. يحكم على عباده ، بأن يكونوا متقين .. ويوجب عليهم التقوى ..

« وهو على معنى قوله :

« فعرفنا ان العالم ، كان تحت حيطة إسم إلهي .. أوجب عليهم أن يكونوا متقين .. »

« وحقيقة التقوى أن يجتنب الانسان ، من إضافة الخيرات والكمالات والصفات الحميدة .. إلى نفسه ، أو غيره .. إلا إلى الله ..

« ويتقى به .. من أفعاله وصفاته ، فإنها شرور .. من معدن الامكان ..

« فيطلع على سر قوله — وما أصابك من سيئة فمن نفسك —

« لأن الشرور أمور عدمية ، واصله العدم ومنبعه الامكان ..

قوله :

« فقالوا في مكرهم ـ لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودّاً ولا سُواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ـ

« فانهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء ..

« فان للحق في كل معبود وجهاً .. يعرفه من عرفه .. ويجهله من جهله .. »

من تقريره ..

« في المحمديين ـ وقضى ربك الا تعبدوا إلا اياه ـ

« اي حكم ربك .. »

رب الكل .. أن لا موجود سواه .. فلا يرى في صورة الكثرة إلا وجهه !

فيعلم انه هو الذي ظهر في هذه الصور ، فلا يعبد إلا الله !

لأن صور الكثرة في الوجود الواحد .. إما معنوية غـــير محسوسة كالملائكة .. وإما صورية محسوسة كالسماوات والارض ، وما بينهما من المحسوسات ..

فالاولى بمثابة القوى الروحانية في الصور الانسانية ..

والثانية بمثابة الاعضاء .

فلا تقدح هذه الكثرة في احدية الانسان ..

وهو معنى قوله :

« فالعالم .. يعلم من عبد ، وفي اي صورة ظهر حتى عبد ..

« وإن التفريق والكثرة .. كالأعضاء في الصورة المحسوسة ..

« وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية ..

« فما عبد غير الله .. في كل معبود ..

« فالادنى .. »

أي .. الجـاهل المحجوب ..

« من تخيل فيه الالوهية .. »

أي .. معنى الالوهية .. فهو أن يصور فيـــه هيئة مخصوصة متخيلة ، فـــإن الخيال لا يدرك إلا مشخصاً .. فعبد ذلك المتخيل ..

« فلولا هذا التخيل .. »

أي .. تخيل معنى الالوهية فيه ..

« ما عبد الحجر .. ولا غيره .. ولهذا .. »

أي .. ولأن الله أراد أن يبصرهم أنهم إنما يعبدون خيالهم ..

« قال ـ قل سموهم ـ

« فلو سموهم .. لسموهم حجراً او شجرا او كوكباً .. »

فافتضحوا وانتهوا عن الشرك ..

« ولو قيل لهم من عبدتم ؟

« لقالوا : إلهاً .. »

بناء على ما تخيلوا ، فلزمهم تعدد الآلهة لانهم ..

« ما كانوا يقولون الله ..

« ولا الاله .. »

إذا لم يرد الله الواحد المتجلي في صورة الكثرة .

« والأعلى .. »

أي العالم العارف الكاشف بالحق ..

« ما تخيل .. »

نفى .. أي لم يتخيل

« بل قال : هذا مجلى إلهي ..

« ينبغي تعظيمه .. فلا يقتصر .. »

اي .. على ذلك المتعين ..

بل يرى كل شيء مجلى له ..

فيرى تعدد المجالي .. من تجليه الاسمائي ..

وأحدية المتجلى .. من تجلى وجهه فيها ..

اي ذاته ..

« فالادنى ، صاحب التخيل .. يقول ـ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ـ .. »

لانه تخيل في كل واحد منها إلهاً صغيراً .

وتخيل ما سمى الله ، إلهاً متعيناً اكبر ..

فلم يعبد إلا ما تخيله من الآلهة المجهولة ..

« والأعلى .. العالم يقول ـ إنما إلهكم إله واحد فله اسلموا ـ حيث ظهر .. »

أي .. انقادوا وأسلموا وجوداتكم له بالفناء فيـه ..

« **وبشر المخبتين ..**

« **الذين خبت نار طبيعتهم ..** »

أي .. المتذللين .. الخاشعين .. من الانكسار والتواضع لعظمة اللـه ..

وقوله خبت .. ليس من الإخباث بل من الخبو .. لأن العـلو والتكبر إنما يكون من الطبيعة النارية ..

كما قال إبليس – أنا خير منـه خلقتني من نار –

فاذا خمدت الطبيعة النارية فيهم انكسرت الانانية الحاجبة لله تعالى ..

« **فقالوا إلها ..**

« **ولم يقولوا طبيعة ..** »

لخبوها .. إذ لم يعرفوا الا ما هو الغالب فيهم ..

فاذا خبت نار الطبيعة ، ظهرت الالهية وغلبته ..

« **وقد اضلوا كثيراً -**

« **اي .. حيروهم ، في تعداد الواحد بالوجوه والنسب ..** »

ولما غلب عليه التوحيد الذاتي المحمدي في قوله :

« عرفت الاشياء بالله .. حين سئل : بم عرفت الله ؟ »

حمل الآية على صورة حاله ، وفسر اضلال الاصنام .. أي صور للكثرة لمن نظر فيها بعين التوحيد ، بالتحير ، لشهود الواحد المطلق الحقيقي متعدداً ، بحسب الاضافات الى المظاهر ، حتى ترى ، اي الوجه الواحد وجوهاً مختلفة باختلاف المظاهر ، التي هي مراياه ..

كما قال المحمدي :

وما الوجه الا واحد غير أنه

اذا انت اعددت المرايا تعددا

فتحير بين أحديته وكثرته ..

وفسر الظالمين في قوله :

« ـ ولا تزد الظالمين ـ »

بالمحمديين الظالمين ..

« لانفسهم .. »

« من جملة المصطفين » الذين أورثوا الكتاب .. »

اي .. كتاب العقل القرآني ..

وهو كتاب الجمع ، والوجود الاحدي .. وجعلهم ..

« فهم اول الثلاثة »

« في قوله تعالى ـ فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ـ

« لأنهم شاهدوا الواحد كثيراً .. فعودوا الواحد ، فساروا من الواحد إلى الكثير ..

ولذلك قـال :

« فقدمه على المقتصد والسابق .. »

« أي .. فضله .. باعتبار سيره ونظره من الواحـــد إلى الكثير ..

« بناء على ما اورده الترمذي في صحيحه ، عن ابي سعيد .. أن النبي .. عليه الصلاة والسلام .. قال في هذه الآية :

(هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة) ...

« وإنما فضله على الباقين ، لأن المقتصد هو الشاهد للكثرة في الواحد والواحد في الكثرة .. جامعاً في شهوده بـين الحق والخلق ..

« والسابق بالخيرات ، هو الذي شهد الكثير واحداً ، فوحــد الكثير ، وسار من الكثير إلى الواحـد ..

« فهما ليسا في الحيرة .. لكونهما معتبرين للخلق مع الحق ..

« وأما هذا الظالم .. فلا يرى إلا الواحـد الحقيقي ، كثيراً بالاعتبار ..

« فله الضلال .. أي الحيرة أبد الآباد ..

« فمن حقه أن لا يزيده الله ..

« - إلا ضلالاً -

« الا حيرة المحمدي .. »

« أي .. إلا حيرة المحمدية ، بالإضافة في قوله :

« زدني .. فيك تحيرا .. »

« أو إلا حيرة بالتنوين ، ورفع المحمدي ..

« أي قال المحمدي .. زدني فيك تحيراً ..

« وهو اصوب وأوفق لقوله ضلالاً ..

« - كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا اظلم عليهم قاموا - »

« هذا وصف حيرتهم ..

« فـــانهم إذا تجلى يور الأحـدية مشوا .. أي سلربوا سير الله ..

« وإذا أظلم عليهم بالاستتار .. وظهور حكم الكثرة والحجـاب وقفوا متحيرين !

« فالحائر .. له الدور .. »

« اي .. السير بالله ، ومن الله ، وإلى الله ..

« فسيره سير الله منه المبدأ واليه المنتهى ..

« فلا أول لسيره ولا آخر ..

« والحركة الدورية ..

« حول القطب .. »

« شبه لقرب الحائر ، وملازمته للحضرة الأحـدية

« ولذلك قال :

« فلا يبرح منه .. »

ثم قـال :

« وصاحب الطريق المستطيل .. »

« أي .. الادنى الجاهل المحجوب ، الذي تخيل أن الله بعيد منـــه ..

« مائل .. خارج عن المقصود .. طالب ماهر فيه .. صاحب خيال .. »

« لانه تخيل ان الله بعيد ، خارج عنه ، فيطلبه من خارج .. وهو فيه ..

« اليه .. »

« أي .. إلى ذلك الخيال

« غايته

« فله من وإلى .. وما بينهما »

« أي .. فله ابتداء من نفسه على ما يتوهمه ، وهو في الحقيقـة من الله الحاصل فيه !

« وانتهاؤه إلى غاية الخيال الذي تخيله ، وما بينهما من المسافة التي توهمها ، وحسبها الطريق إلى الله .

« فهو يبعد بسيره عن الله دائماً

« وصاحب الحركة الدورية ..

« لا بداية .. »

« اي . لسيره في شهوده ..

« فيلزمه مِن ..

« ولا غاية .

« فتحكم عليه الى .. »

« فيلزمه منصوب جواباً للنفي ، وكذا فتحكم ..

« اي لا ابتداء لسيره ، حتى يلزمه مِن .

« ولا انتهاء ، حتى تحكم عليه إلى ..

« فله الوجود الاتم ! »

« أي المحيط بكل شيء ..

« فسيره سير لله ، في الله ، بالله ..

« وهو المؤتي جوامع الكلم والحكم .. »

« يعني نبينا محمداً ، عليه الصلاة والسلام ..

« ومن اتبعه من المحبوبين ، من أمته المحبين ، الذي أراد الله بخطابه لنبيه – قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله –

« فإن مشهدهم الحق – فأينما تولوا فثمّ وجه الله – قل الله ثم ذرهم –

« مما خطيئاتهم .. »

« يريد حيرة المحمديين ، والجمع باعتبار تعددهم وكثرتهم ، ولهذا وصفها بقوله :

« فهي التي خطت لهم .. »

« أي .. حازت بهم من خطط تعيناتهم وأنياتهم ..

« فغرقوا في بحار العلم بالله

« وهو الحيرة .. »

« اي ، في الاحدية السارية في الكل

« المتجلية في صورة الكثرة ..

« المحيرة بتعينها في كل شيء ، مع لا تعينها في الكل ..

« وإطلاقها وتقييدها .

« **فأدخلوا ناراً - في عين الماء** »

« أي .. نار العشق ، بنور سبحات وجهه ، المحترقة بجميع التعينات والأنيات ، في عين بحر ماء العلم بالله ..

« والحياة الحقيقية التي يحيا بها الكل من وجه ، ويفنى بها الكل من وجه ..

« فلا حيرة أشد من الحيرة في شهود الغرق والحرق ، مع الحياة والعلم ، والفناء مع البقاء ..

« **في المحمديين - وإذا البحار سُجرت -** »

« من سجرت التنور ، إذ أوقدته ، فإن عين بحار العلم بالله في الكل ، عين إيقاد نار العشق المحرق ..

« **فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً -** »

« لأن الله إذا تجلى بذاته لهم احرقهم ، وكل ما في الكون ، فلم يبق أحد ينصرهم ..

« لكن الله أحياهم به

كما قال :

« ومن أحياني فأنا قتلته ومن قتلته فعليّ ديته ، ومن عليّ ديته فأنا

ديتـه ..

ولهذا قال

« فكان الله عين انصارهم

« فهلكوا فيه الى الابد .. »

« لأن هلاكهم فيه عين حياتهم وبقائهم به ..

« فهو المهلك المبقي، وهو الناصر المحيي ..

« فلو أخرجهم إلى السيف .. سيف الطبيعة .. لنزل بهم عن هذه الدرجة الرفيعة .. »

« أي .. لو انجاهم من الغرق في هذا البحر إلى ساحل الطبيعة، وتركهم مع تعيناتهم ، لانحطوا عن هذه المرتبة إلى عالم الطبيعة ، واحتجبوا بتعيناتهم عنه ..

« وإن كان الكل لله .. وبالله

« بل هو الله .. »

« اي .. وإن كان أهل الطبيعة بائنين لله وبالله قانتين ..

« بل كل ما في الوجود هو الله ..

« ولكن بحسب الاسماء ، تتفاضل الدرجات وتتفاوت ، وبين

الخافض والرافع ، والديان والرحمن بون بعيد .. »

« قال نوح رب »

« المراد بالرب الذات ، مع الصفة التي يقتضى بها حاجته ويسد خلته ..

« فهو اسم خاص من أسمائه ، بالأمر الذي دعاه اليه وقت النداء .. ولذلك خص بالإضافة ..

« ما قال إلهي .. فاب الرب له الثبوت »

« أي .. الثبوت على الصفة التي يكفي بها مهمه ، من غير أن يتحول إلى صفة اخرى فيكون اسماً آخر ..

« والاله يتنوع بالاسماء فهو – كل يوم هو في شأن –

« فأراد بالرب ثبوت التلوين »

« أي .. ثبوت ظهوره في صورة توافق مراده في دعائه وهو التلوين ..

« إذ لا يصح الا هو »

« في مقام الإجابة لدعائه وهو قوله :

« – لا تذر على الارض

« أي .. حال الظهور في الفوق الذي هم مستهزئون به ، وهو ظاهر الأرض .

« يدعو عليهم أن يصيروا في بطنها »

« وذلك عين دعوته لهم إلى الباطن الأحدي الجمعي ..

« المحمدي .. لو دليتم بحبل لهبط على الله »

« اي .. هو التحت .. كما هو الفوق .. وقال :

« – له ما في السماوات وما في الارض –

« أي .. الظهور بصورها ..

« فاذا دفنت فيها ، فأنت فيها وهي ظرفك ..

« فأنت فان في باطنيته ..

« – وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى –

« لاختلاف الوجود .. »

« عند الإعادة فيها بالباطنية .

« وهي استهلاك تعيناتهم وكثرة أنياتهم الظـاهرة في صورة الخلق .. بظاهر أرض الفوق .. في أحدية عين الحق ، وعند الإخراج منها بالظاهرية في المظاهر الخلقية ، وصور التعينات المختلفة ..

« من الكافرين .. »

« أي .. الساترين وجه الحق بسترات استعداداتهم ..

« الذين استغشوا ثيابهم وجعلوا أصابعهم في آذانهم طلباً للستر »

« لأنهم فهموا بحكم احتجابهم من الغفر ذلك .. كما ذكر وهو معنى قوله :

« لأنه دعاهم ليغفر لهم ..

« والغفر الستر .. »

قوله :

« – ديّاراً – أحداً .. حتى تعم المنفعة .. كما عمت الدعوة »

« معناه أنه .. عليه السلام ، إنما دعا المحتجبين بالكثرة .. الذين هم عباد صور الأسماء عن الوحدة ، لينقذهم عن مهلكة الشقاء ، الذي هو اختلاف وجوه الأسماء ، إلى منجاة السعادة التي هي أحدية وجه الذات ..

« وعن ظلمانية الجلالية .. إلى نور جمال الذات ..

« فلما تحقق انهم اهل الحجاب .. الذين لا يعبدون إلا صور الكثرة الأسمائية .. ولا تزيدهم الدعوة إلا زيادة الاحتجاب .. لقوة

الشيطنة .. ونفاذ حكم الارادة الالهية فيهم بالعزة .. دعا ربه الناصر له باسم القهار المنتقم .. ليستر صور اختلافهم وتعيناتهم الظاهرة في ظاهر أرض الفوق .. بأحدية اسم الباطن في باطنها ..

« كما ستروا وجود استعداداتهم .. واستتروا عن سماع دعائه ..

« فتعم منفعة أثر الدعوة ، وهي صلاحهم بالرد عن الكثرة إلى الوحدة .. والمنع عن التمادي للتفرقة والبعد ..

« فان نفاذ الفساد صلاح لهم .. وصلاح من بقي بعدهم من المؤمنين .. فلا يضلوهم ولا يهلكوهم ويحيروهم .. كما عمت الدعوة جميعهم ..

« - **إنك ان تذرهم** -

« **اي تدعهم وتتركهم** -

« **يضلوا عبادك** -

« **اي يحيروهم ..**

« **فيخرجوهم من العبودية .. الى ما فيهم من اسرار الربوبية ..**

« **فينظرون انفسهم أربابا ..**

« بعدما كانوا عند نفوسهم عبيداً ..

« فهم العبيد الارباب .. »

« اي .. إن هؤلاء إن تركتهم مع أهوائهم .. تظاهروا بأنياتهم .. التي هي هوية الأحدية .. المنصبغة بأنوار مظاهرهم .. فلا يتحركوا إلا إلى الغلو والطغيان .. فيخرجوا عبادك بدعوتهم إلى الأنية الشيطانية .. من العبودية التي هم عليها .. إلى ما فيهم من معنى الربوبية .. مع كونهم عبيداً .. فيتحيروا ويكونوا شر الناس ..

« كما قال .. عليه الصلاة والسلام : (شر الناس من قامت القيامة عليه وهو حي) ..

« فإن الهادي يدعو إلى طاعة الرحمن .. ليتفانوا عن حياة الهوى .. وينسلخوا عن رسومهم .. فيموتوا عن أنياتهم الحاجبة للحق ، فيحيوا بالحياة الحقيقية الأبدية ..

« والمضل يدعو إلى طاعة الشيطان .. فيمدهم إلى طغيانهم بتقوية أنانيتهم .. فيطلعهم على سر الربوبية ، فهم مع بقاء الهوى ، وحياة الأنية والأنانية .. أي الاحدية المنصبغة بلون الكثرة واحكام الامكان التي هم بها عبيد ، فينظرون انفسهم أرباباً مع كونهم عبيداً ،

فيكونون شر الناس .. عبيداً ارباباً عند انفسهم ، وذلك عين الحيرة والضلال والهلاك ..

« بخلاف حيرة المحمدي ، فإنها بعد فناء الانية في الاحدية .. والموت الحقيقي ، والنظر إلى نفسه بأنه لا شيء محض ..

« - ولا يلدوا -

« اي ما ينتجون ولا يظهرون ..

« الا فاجرا

«اي مظهرا ما ستر

« - كفارا -

« اي ساتراً ما ظهر بعد ظهوره .. »

« أي .. لانهم فاجرون ، بإظهار أنانيتهم الشيطانية ودعوى الربوبية ..

« كفارون ، بستر الحقيقة الالهية بأنانياتهم ..

« فلا يكون اولادهم ، إلا على صور اسرارهم ..

« كما قال ، عليه الصلاة والسلام :

(الولد سر ابيه) ..

« فلا يلدوا إلا مظهراً لأنانيته بدعوى الربوبية المستورة فيه زوراً وكذباً ، ساتراً بأنانيته الحقيقة الألهية التي ظهرت بصورته بعدما ظهرت ، فيكون متلبساً على عباد الله في دعواه ..

« فيظهرون ما ستر ..

« ثم يسترونه بعد ظهوره .. »

« اي .. فيظهرون بالدعوى ما ستر من الربوبية المستورة .. ويدعون بأنانيتهم انهم الرب ، يعني يدعون ان الانانية الظاهرة هو الرب المستور فيهم، زوراً وكذباً ، ثم إنهم على الحقيقة لا يرون الذي يدعون ظهوره ، بعد ظهورهم في صورهم على الحقيقة ..

« فيحار الناظر ..

« ولا يعرف قصد الفاجرة في فجوره ..

« ولا الكافر في كفره ..

« والشخص واحد .. »

أي .. يحار الناظر الطالب للحق في الاظهار والستر ..

« ولا يعرف ان الفاجر في إظهار الربوبية بدعواه إياها ، ساتر لها في سترها ، هو ذلك المظهر كذباً وزوراً ..

« والحال ان الشخص المظهر الساتر واحد .. وهو عين الضلال والتحير ..

« رب اغفر لي –

« اي .. استرني واستر من أجلي

« فيجهل مقامي وقدري

« كما جهل قدر الله في قولك - ومـــا قدروا الله حق قدره »

« اي .. استر بنور ذاتك أنانيتي ..

« واستر بنور صفاتك رسومي وآثاري ..

« وقوي نفسي وطبيعتي لاجلي ..

« اي .. خلصني من التلوين بظهورها ، لاكون محـواً بكليتي فيك ..

« فأينا مجهول القدر ، كما وصفت ذاتك ..

« ووالدي ..

« من كنت نتيجة عنهما .. وهي العقل والطبيعة .. »

« اراد بالعقل والطبيعة ، الروح والنفس ، اوردهمـــا على اصطلاح الحكماء ..

« وأراد بالنتيجة القلب الحاصل منهما ..

« فان الحقيقة الانسانية .. المعبر عنها بأنا ، وسرها من جملة السر لاجله .. حتى لا يبقى منه أصل واسم ورسم ، فلا ينعت .. فلا يعرف ..

« – ولمن دخل بيتي –

« اي .. قلبي

« – مؤمناً – مصدقاً بما يكون فيه .. من الاخبارات الالهية .. وهو ما حدثت به انفسهم »

« ولما استجيب دعاؤه بالفناء بالله ، أقام أنية الله مقـــام أنانيته ..

« وكان بيته قلبه : لقوله .. عليه الصلاة والسلام :

(قلب المؤمن بيت الله) ..

« وقوله حاكياً عن ربه

(لا يسعني أرضي ولا سمائي ويسعني قلب عبـــدي

المؤمن) ..

« ومن حق التجلي الالهي أن يفنى مـــا تجلى له ، فلم يبق إلا هو ..

« فكان أحاديث قلبه إخبارات إلهية ، وكان من دخله مصدقاً بها عارفاً واصلاً مثله ، فيلزم ان تكون احـــاديث انفسهم من تلك الاخبارات الالهية ، لان القلب ومن دخله في مقام الفناء ، في عين احدية الجمع ، فكل ما هجس ببال منهم كان إخبـاراً إلهياً ، وضمير الجمع وصيغته في انفسهم لمن دخـل محمول على المعنى ..

« وللمؤمنين .. من العقول ..

« والمؤمنات ..من النفوس »

ظاهر ..

« – ولا تزد الظالمين – .. من الظلمات

« أهل الغيب .. المكتنفين خلف الحجب الظلمانية »

« اول الظالمين ، بذوي الظلمات ، من قوله ، عليـــه الصلاة والسلام :

(الظلم ظلمات يوم القيامة) ..

« وفسرهم باهل الغيب ، بحسب ما عليه من الحال والاستغراق

في الغيب ، وقوله اهل الغيب بيان لهم ..

« المكتنفين ، اي المتخذين اكنافهم والمتوطنين خلف الحجب الظلمانية ، وراء الاستار الحجابية ، والاطوار الجسمانية الظلمانية ، المحتجبين في حظائر القدس عن اعين الناظرين ..

« – إلا تباراً – اي الا هلاكاً .. »

في الحق

« فلا يعرفون نفوسهم ..

« لشهودهم وجه الحق دونهم »

قوله :

« في المحمديين – كل شيء هالك الا وجهه -

« والتبار : الهلاك .. »

« يجوز ان يكون صفة للظالمين : اي الظالمين الكائنين ، او حالا اي كائنين في المحمديين ، والمراد ظالمو امة محمد .. عليه الصلاة والسلام ، من المصطفين .. او صفة لهلاكا .. اي هلاكاً واقعاً في المحمديين او في زمرتهم ، او متعلقاً لشهودهم .. اي لشهودهم وجه الحق ..

« وقوله – كل شيء هالك الا وجهه – بيان لمشرب المحمديين ..

« اي فيهم شهود كلي .. باضمحلال الرسوم ؛ وفنـاء كل شيء عند طلوع الوجه الباقي ؛ المحرق سبحاته ما انتهى اليـــه بصره من خلقه ..

« ويجوز ان يكون قوله في المحمديين منقطعاً عما قبله ..

« اي .. فيهم هذا الشهود ..

« والوجه هو الذات الموجودة مع لوازمها ..

« ووجه الحق ؛ هو عين الوجود الاحدى الجمعي .. اي المطلق !

« ومن اراد ان يقف على اسرار نوح فعليه بالترقي في فلك نوح ..

« وهو في التنزلات الموصلية لنا »

« اكثر اسرار الكلمة النوحية من الحكم والمعارف والمشاهدات لا تنكشف إلا لمن يترقى بروحه الى فلك الشمس ..

« ونوح .. اسم الشمس ؛ لانه المكان العلي الذى هو منشا القطب ومبدأ تنزله !

« ومن نور روحانيتها إمداده ..

« والتنزلات الموصلية كتاب من تصانيفه رفيع القدر .. ذكر

فيه الاسرار النوحية .. والتـنزلات الروحية ، لسائر الانبيـــاء والاولياء » ..

انتهى

* * *

فرغنا من كلام ابن العربي

وشرح القاشاني عليه ..

وكان سبحاً طويلا

فهنيئاً للذين يفهمون ابن العربي

أما الذين يضيقون به ويرفضون ما يذهب اليه !

فاقول لهم :

لا عليكم لا تفزعوا فاسمعوا !

او لا تسمعوا !

إنما هو أفق اعلى

فمن استطاع ان يحلق اليه فنعما هو

ومن لم يستطع فلا تثريب عليه !!

شخصية ..

نوح !.

ان خير ..

من يحدثنا عن شخصية نوح .. عليه السلام ..

كتاب الله .. فهو أحسن الحديث ، وأصدق الكلام ..

فماذا قال .. عن نوح ؟

قال :

« إن الله ..

« اصطفى آدم ونُوحاً ..

« وآل إبراهيم وآل عمران ..

« على العالمينَ ..

« ذُرية بعضها من بعض ..

« واللهُ سميعٌ عليمٌ . » !

فما معنى هذا ؟

معناه خطير .. أن نوحـــاً .. خلاصة .. خلاصة البشر أجمعين ..

أي .. اوتي جوامع الصفات العليا ..

تركزت فيه ، وتوازنت ، ثم تلألأت ، فكانت نوحا ؟

إن الله اصطفى .. نوحـاً ؟

جوامع الشرف ، وُضعت على جبين نوح فما أسعده !

فلما اصطفاه ، كان اهلاً لوحي مولاه ..

« إنا اوحينا اليك ..

« كما اوحينا إلى نوح ..

« والنبيين من بعده .. » !

والشخصية التي يتنزل عليهـــا وحي الله ، تزداد سمواً ، إلى أعلى ..

فهو هناك .. اصطفاه ، ثم هو هنا .. أوحى اليــه ..

هناك آتاه الاستعداد ، وها هنا آتاه الإمداد ..

أعلى استعداد ، استعداد مستوى الاصطفاء ..

وأعلى إمداد ، إمداد مستوى « أوحينا إلى نوح .. » !

وهاتان ، الجملتان تكفيان .. أن ترفع نوحـــاً .. إلى أعلى عليين ..

فكيف إذا زاده عليهما ، من العطـــايا مالا خطر على قلب بشر ؟

فماذا أعطاه ؟!

« .. ونُوحاً ..

« هدينا .. من قبلُ .. » ؟!

ونوحاً ؟

ونوحـــاً .. العظيم .. الرائع ، الخالد .. الذي لا يعلمـــه إلا أنا ..

هدينا ؟!

نحن .. هدينا ..

جمالها وراء العقول ..

كأنه يراد أن يقال : تولينا نحن .. هدايته ، ومَن تولينا هداه ،

فإنكم لا تستطيعون إدراك مدى هداه ..

شيء أعلى مما تفهمون

وأنى للأدنى إدراك ، ما هو منه أعلى ؟!

ونوحاً .. هدينا ؟

اصطفاء .. ثم وحي .. ثم ُهدى ..

فهل تمت كلمة ربه الحسنى عليه ، عند هذا ؟!

كلا .. فماذا إذا أعطاه ؟

« لقد ارسلنا ُنوحا إلى قومه ..

« فقال يا قوم .. اعبدوا الله ..

« ما لكم من إله غيرُه .. » !!

لقد أرسلنا ُنوحاً ؟

شرف جديد .. عطاء جديد ..

شرف الارسال والرسالة ، والله حين يرسل رسولاً .. إنما يختار أعلى مستوى من البشر ..

فلا يتصور شيئاً .. أرقى من الرسول ، على الاطلاق !

ثم ماذا ؟!

وها هو نوح .. يتحدث عن حقيقة نوح :

« قال يا قوم..

« ليس بي ضلالةٌ ..

« ولكني رسولٌ ..

« من رب العالمين . » !

مفتاح خطير ، من مفاتيح شخصية نوح ..

ليسَ .. بي . ضلالةٌ ؟

ليس ، بي .. اي نسبة من الضلالة ..

أنا .. حق .. كلي .. وجزئي !

فانظر كم تكون شخصيته بهيجة جميلة ، جليلة ، حين تخلو تماماً من اي ضلالة ؟

ولكني .. رسولٌ ؟

يتحتم أن يكون الرسول .. نوراً خالصاً .. لا ظلمة فيه !

وأخرى .. أبهج وأشد للقلوب طرَباً !

أبلغكم رسالات ربي ..

« وانصحُ لكم ..

« وأعلمُ من الله ما لا تعلمون .. » !

وأعلمُ .. من اللهِ .. ما لا تعلمونَ .: أنتم جميعاً .. أيها البشر ..

مِنَّة منه تعالى ..

والله يمنّ .. على مَن يشاء !

ماذا كان يعلم نوح من الله ، مما لا نعلمه جميعاً ؟

سلوا .. نوحاً ؟

فهو شيء بينه وبين ربه !

ألا وينبغي ان نعلم نحن جميعاً .. ان العلم من الله ، هو أشرف ، وأعلى ، واعزّ ، وأغلى ، وأثمن ، علم على الاطلاق .

لأن العلم مراتب لا تتناهى ..

أعلاها واسماها ، واسناها .. العلم من الله ..

فكيف كان علم نوح ، وهو في أعلى درجات الرسل ؟!

إن المصيبة العظمى التي تصيب اكثر الناس .. واكثر الناس ..

كقوم نوح .. انهم لا يدركون من الرسل شيئاً ، لشدة علو آفـاق الرسل ..

انظر إلى قوم نوح .. وهو ما هو من العلم بالله ، ومـــاذا قالوا فيه ؟!

« قال الملأ من قومه ..

« إنا لنراك في ضلال مبين . » !

هكذا . نوح ، في نظرهم ، في اقصى دركات الضلال !

الم أقل لك ، ان اكثرهم لا يعقلون ؟

فهل انتهت عظمة ، شخصية نوح عنـد هذا ؟!

كلا .. بل هناك عطايا وهدايا !

« فان توليتم ..

« فما سألتكم من اجر ..

« إن أجري إلا على الله .. » !

عظمة الانبياء ، التي لا ترقى إلى مستواهـــا عظمة .. مهما كانت ..

أنهم .. حرّم الله عليهم ، ان يأخذوا ، أجراً .. ما .. نظير

تبليغهم الدعوة إلى الناس .

ومن هنا.. لا يورثون !

« **نحن معاشر الانبياء ..**

« **لا نورث .. »** !

تنزيهاً لمقاماتهم ، ان يستفيد ورثتهم من ورائهم شيئاً ..

وتلك الصفة من الرسل ، ينفردون بها ، عن سائر البشر ..

وها هو نوح .. يسجلها ..

« **فما سألتكم من أجر ..**

« **إن أجري إلا على الله .. »** !

اللهم صلّ .. وسلم ، وبارك ، وشرّف .. وكرّم ، أنبياءك ، وارسلك ، صفوة خلقك أجمعين !

ثم ماذا ؟

ثم عطاء ، لا يتناهى .

« **قال يا قوم ارأيتم ..**

« **إن كنتُ على بينة من ربي ..**

« **وآتاني رحمة من عنده .. »** !

وآتاني رحمة من عنده؟

تفكير .. رحمة .. إشارة الى عظمة تلك الرحمة، وانها من الأفق الأعلى .. من عنده .. خصوصية له، يمتاز بهـــا عليهم جميعاً!

ثم ماذا؟. ثم تربية الشخصية .. على أعلى أساليب التربيـــة العملية ..

« ويصنعُ الفُلك .. »!

نوح يعمل في الصناعة بيديه ..

هو الصانع الاول، يباشر مشاق النجارة بيديه ..

ليكون قدوة واسوة لأتباعه .

فلا يأنف من عمل .. ولا يتعالى عليهم .. كما يفعل الصعاليك أو الملوك!

واخرى من بدائع عناصر الشخصية ..

« وقال اركبُوا فيها ..

« بسم الله ..

« مجرَاها ..

« ومُرساها .. »!

أعلى انواع البلاغة ، واذا لم يكن المرسلون ابلغ النــــاس .. فمن يكون ؟

بسم الله .. مجراها .. ومرساهـا ؟

ايجاز واعجـاز .. لا يكون الا من رسول كريم !

واخرى ما زالت تهتز ، الى يوم القيامة ..

« قيلَ ..

« يا نوحُ ..

« اهبط بسلام منا ..

« وبركات عليك ..

« وعلى امم ممن معك .. » !

بسلام .. مِنَّا ؟

عطاء ، على الغاية من الجمال ..

سلام لا يتناهى .. مِنَّا ..

وبركاتٍ .. عليك .. مِنّا ؟

بركات لا تتناهى !

ولو لم تتكون شخصية نوح ، الا من هاتين الجملتين المقدستين

لكانت أعظم شخصية ..

فكيف وهاتان ، عنصران اثنان ، ليس الا ؟

سلامٌ على نوح في العالمين !

كان نوح بشراً ..

ولكن .. مَنَّ الله عليه ، بمنن لا تحصى ..

« قالت لهم رسلهم ..

« إن نحن إلا بشرٌ مثلكم ..

« ولكن اللهَ ..

« يَمُنّ على من يشاءُ مِن عباده .. » !

ها هنا امتياز نوح .. بشر .. ولكن الله مَنَّ عليه ..

لطائف المنن تنزل عليه ، الى ما شاء الله ..

وصفة اخرى ، هي اشهر صفات نوح على الاطلاق ، صفة الصبر على الأذى ، في الله ، صبراً امتد نحو الف عام ..

« ولنصبرنّ على ما آذيتمونا .. » !

صبُّوا عليه الاذى صبّا .

فاحتمل كل ذلك .. وازداد لله حُباً ؟

واخرى ، أعلى من الصبر .. وأحلى .. سجّلها له ربه ..

« ذُرية من حملنا ..

« مع نوح ..

« إنه كان عبدا شكورا .. » !

انه كان دائماً .. وفي كل الاحـوال ..

عبداً ، عظيماً ، راقياً ، اعلى رُقي ..

شكوراً .. كثير الشكر .. في سرّه وعلانيته ..

تتموج أمواج شكره الينا مع انفاسه ..

وصفة الشكر ، هي اعلى الصفات العليا على الاطلاق ..

وهـي في المرسلين .. على أعلى مستوى يمكن ان يكون

عبداً .. شكورا ؟

أبهج مفتاح ، من مفاتيح شخصية نوح !.

لقد أنعم الله عليه بأعلى النعم ..

« اولئك الذين انعم اللهُ عليهم من النبيين ..

« من ذرية آدم ..

« وممن حملنا مع نوح .. » !

والآية تشير الى عظيم انعام الله .. على الانبياء من جمـــل مع نــوح ..

واذا كان هذا على الفروع من ذرية نوح ، اذاً كيف كان مقدار الانعام على .. نوح نفسه .. الذي هو اصل الشجرة الطيبـة .. التي انبثقت عنها تلك الاغصان ؟

شيء لا يقادر قدره ،

ولؤلؤة سرمدية أبدية قدسية ..

من لآلىء صفات نوح العليا ..

« .. ومن هدينا واجتبينا ..

« إذا تُتلى عليهم ..

« آياتُ الرحمن ..

« خروا ..

« سُجدا ..

« وبُكيا .. » !

انعام .. اعلى انعام ..

اذا تُتلى عليهم ، اولئك النبيين ، ومن اعلاهم نوح ..

آياتُ الرحمن .. المنزلة .. او المبثوثة في الكون ..

خرّوا .. فوراً .. حباً وشوقاً ..

سجّداً .. الى اقصى درجات السجود ..

سجدت قلوبهم ، فسجدت آرابهم ..

وبكيّاً .. بكت أسرارهم ، فبكت ارواحهم ، فبكت قلوبهم ، فبكت عيونهم !

ذلكم نوح .. فذوقوه ..

وهل تستطيعون ان تذوقوه ؟

واخـرى .. اعلى ، واعلى .

« ونوحـــا ..

« إذ نادى ..

« من قبلُ ..

« فـــاستجبنا ..

« لـــهُ .. » !

فاستجبنا ؟!

« فَـ » الفاء .. للفورية الحتمية ..

فوراً استجبنا ، وحتماً .. حققنا ما يريد !

شرف .. لا يرقى اليه شرف !

اذْ نادى .. فـَ .. استجبنا ؟

وهذه وحدها .. مرتبة .. ترفع شخصية نوح ، رفعاً لا تدركه الأبصار !

ماذا .. نادى ؟!

« قـــال ..

« رب انصرني بما كذبون . » !

ومــاذا نادى ايضاً ؟

« قال رب إن قومي كذبون .

« فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي من المؤمنين . » !

فماذا كان ؟!

« فانجيناهُ ومن معهُ في الفُلك المشحون .

« ثم اغرقنا بعدُ الباقين . » !

استجابتان . فوريتان ..

فأنجيناه .. ثم اغرقنا !

البقاء لك يا نوح ..

والفناء لاعدائك جميعاً !

ثم ماذا من عناصر .. شخصية نوح ؟

« وإذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ..

« ومنك ..

« ومن نوح ..

« وابراهيم ..

« وموسى ..

« وعيسى ابن مريم ..

« واخذنا منهم ميثاقاً غليظاً .. » !

ما هو هذا الميثاق الغليظ .. الذي اخذه الله على هؤلاء الخمسة ، عظماء الرسل .. وأولي العزم منهم ؟

هو ما فرضه عليهم .. وما اوحاه اليهم .. وما امرهم بتطبيقه على انفسهم .. وتبليغه الى الناس ..

وانه للميثاق الغليظ .. الذي لا يحتمله .. ولا يطيقه الا هؤلاء اعظم الانبياء ..

ومنهم نوح .. احد خمسة حددتهم الآية باسمائهم !

واخرى ، يبلغ بها نوح .. ما لم يبلغه احد سواه ..

« ولقد نادانا ..

« نوحٌ ..

« فلينعم المجيبون . » !

انفرد نوح .. بهذه اللؤلؤة المقدسة ..

ولقد .. نادانا .. نوح ..

فلنعم .. المجيبون ؟

اجبناه .. من مقام جمع الجمع ..

فكانت اجابة لم تحدث لنبي قبله !

« فدعا ربه اني مغلوبٌ فانتصر . » !

وهذا مقام فريد .. خاص بنوح .. مقام .. اني مغلوب !

فكيف كانت الإجابة ؟

« ففتحنا ابواب السماء بماء ٍمنهمر .

« وفجّرنا الأرض ُعيونا فالتقى الماء على امر قد ُقدر . » !

فهل سمعت ان نبياً من الانبياء .. صنع الله له .. مثل ما صنع لعبده نوح ؟

الجواب .. ولقد نادانا نوح .. فلنعم المجيبون !

أجابهُ .. اسرع .. واعلى واوسع .. واعجب اجابة ..

ذلكم نوح .. ذلكم فذوقوه ..

ومن اجل .. تلك العناصر العُلى .. التي تكونت منها شخصية نوح ..

من اجل انه اعلى نوع من انواع .. بذور الصفات العليا .. من الانسان ..

استنبت الله .. منه سائر الأنبياء من بعده ..

« ولقد ارسلنا نوحا ..

« وابراهيمَ ..

« وجعلنا في ذُريتهما ..

« النبُوة ..

« والكتاب .. » !

ومن حيث ان ابراهيم .. ابا الأنبياء ، هو غصن من اغصان

نوح ..

فالأنبياء جميعاً .. من ذرية نوح .

وكتب الانبياء جميعاً .. في ذرية نوح !

فكيف كانت شخصية نوح ؟

سلام ..

على نوح ..

في العالمين !

ذلك الكتاب ..

الذي اسمه .. القرآن ..

فيه .. من الدقائق والرقائق واللطائف ، ما لا يتناهى ..

ومن تلك اللطائف العُلى .. ما نسجله في هذا الباب الأخير ، من هذا الكتاب !

قال تقدست اسماؤه :

« إلا عباد الله المُخلصين .

« ولقد نادانا نوحٌ فلنعم المجيبون .

« ونجيناهُ واهله من الكرب العظيم .

« وجعلنا ذريته همُ الباقين .

« وتركنا عليه في الآخرين .

« سلامٌ على نوحٍ في العالمين ..

« انا كذلك نجزي المحسنين .

« إنه من عبادنا المؤمنين .

« ثم اغرقنا الآخرين . » !

تسع آيات .. معجزات .. شاملات .. لكل شيء ، عن نوح وحقيقته ، وشخصيته ، وحياته ؛ ومقامه عند الله ؛ ومقامه في الناس ومصير اعدائه ..

في تسع آيات ؛ فيها ملخص عجيب لكل شيء عن نوح .

وهذا وجه من وجوه الإعجاز في القرآن العظيم .

أفاض في مواضع كثيرة ؛ في حياة نوح ؛ وها هنـــا ؛ أعطي ملخصاً ؛ لكل شيء عن نوح !

إلا عباد الله المخلصين ؟!

فهو .. عبدٌ .. مُخلص ..

استخلصه .. الله .. لنفسه ..

محض مِنّـة ..

وشتان .. بين المخلِص .. والمخلَص !!

ولقد .. نادانا .. نوحٌ .. فلنعم .. المجيبون ؟

هو عندنا .. عظيم عظيم ..

ونداؤه .. شيء رفيـع رفيـع ..

فكنا له .. فلنعم المجيبون !!

وذهب بها نوح ، ونعِمَ نعيماً ..

ليس كمثله نعيم !!

« فلنعم » .. تتشعشع فيه ، بكُل أنواع النعيم !!

ونجيناهُ .. واهله .. من الكرب العظيم ؟

نجاه وحده .. كما وقف ضد العـــالم وحده .. وهل جزاء الاحسان إلا الاحســان ؟!

والنصر .. حين ينبثق من استحـــالة النصر ، تكون له لذة لا تعدلها لذة !

من الكرب العظيم ؟! وأي كرب هو أشد من اضطهـــاد الف سنة إلا خمسين عاماً ؟

وجعلنا ذريته همُ الباقين ؟!

هم وحدهم .. سام .. وحام .. ويافث .. الباقين ..

منهم كانت البشرية كلها مرة أخرى ، لأنهم يحملون أنوار أبيهم نوح .. والمطلوب هو بشرية جديدة مضيئة !!

وتركنا عليه في الآخرين ؟

رفعنا له ذكره .. في كل الأجيال التي تأتي من بعده ، إلى آخر الحياة .

بينما قطعنا دابر أعدائه .. وقطعنا ذكرهم ، فلا يُذكرون الا ليُلعنوا !!

أما .. نوح .. أما عبدنا ؟!

سلام .. على نوح .. في العالمين ؟

سلامٌ لا يتناهى .. مِنا على نوح ، في العالمين ، في جميع العوالم ، ومنها عالم البشر !!

رفعناه إلى أعلى مقام ..

مقام السلام !

إنا .. كذلك .. نجزي .. المحسنين ؟!

وأي إحسان .. هو اكبر من إحسان اولي العزم .. مِن الرسل ؟!

وأي جزاء هو اكبر من

« سلام على نوح في العالمين » ؟!

« إنهُ .. من عبادنا .. المؤمنين ؟!

لو وُزنَ إيمانه .. وإيمان الأمة .. لرجح إيمان نوح !

إيمان هؤلاء عظماء الانبياء ، شيء لا يُدرك ، ولا يُفهم ، ممن دونهم !!

نحن نعلمهم !

ثم .. اغرقنا .. الآخرين ؟!

أحبنا ، فاحببناه ..

ونادانا ، فلبيناه ..

إني ، مغـلوب ..

ففتحنا ، أبواب السماء ..

وفجّرنا ، الأرض عُيوناً ..

« سلامٌ ..

على نوح ..

في العالمين .. » !

الفهرس

صفحة

